مطبوعات مكتبة مصر

حرب البسوس

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الفصل الأول

« المشهد الأول » .

فى مضارب بنى بكر .

فى بيت الشيخ مرة بن ذهل بن شيبان فى الخباء المخصص لاستقبال الضيوف .

(يرفع الستار فنرى هجرسا مستغرقا فى فكر عميق) .

هجرس : هجرس ! لم سميت بهذا الاسم ؟ من الذى سمانى ؟ اسم لم يسم به أحد من قبل لا من بكر ولا من تغلب . جرو ثعلب . أأنا جرو ثعلب ؟ أأبى هو الثعلب ؟ كلا إن كان هو المزدلف فهو أشبه بالنمر ، وإن كان كليب وائل فهو أشبه بالأسد .

(تدخل جليلة كالمتسللة فيراع هجرس)

جليلة : هجرس . ماذا تصنع هنا وحدك ؟

هجرس : الوجدة يا أمى خير من جليس السوء .

جليلة : وجليس الخير ؟

هجرس : أين هو ؟ لا وجود له .

جليلة : وسعدى ؟

هجرس : هذه ستكون امرأتى فى المستقبل وستأتينى بابن يشبه غيرى ولا يشبهنى .

جليلة : (**تتجلد**) أوَلا تحبها ؟

هجرس : بلى إنها ابنة خالى .

جليلة : (**تتكلف الدعابة**) ها .. كأنك ما زلت ميالاً إلى أسماء .

هجرس : أسماء من ؟

جليلة : بنت امرئ القيس بن إبان .

هجرس : تلك تغلبية وبيننا وبين قومها شر .

جليلة : لكن أباها اعتزل قومه ولم يشترك فى هذه الحرب .

هجرس : أتؤثرينها على ابنة أخيك ؟

جليلة : معاذ الله . ولكن إذا كنت تريد أسماء ...

هجرس : كلا يا أماه . بجير ابن خالها أحق بها منى .. وسعدى ابنة خالى أحق بى منها .

جليلة : بوركت يا بنى . هذا من بركة خالك جساس الذى يحبك أكثر من أولاده (**تهم بالخروج**) .

هجرس : على رسلك يا أماه حتى تجيبى على سؤال .

جليلة : (**تدركها ردعة**) أى سؤال ؟

هجرس : ولا تغضبين ؟

جليلة : أمنك يا بنى أغضب ؟

هجرس : هل أنت حقا أمى ؟

جليلة : ماذا تقول يا هجرس ؟

هجرس : أأنت حقا ولدتنى ؟ أخرجت حقا من بطنك ؟

جليلة : ويلك أعندك شك فى ذلك ؟

جليلة : إنى لا أرى أى شبه بينك وبينى .

جليلة : ما كل طفل يشبه أمه .

هجرس : ولا بينى وبين المزدلف .

جليلة : وما كل طفل يشبه أباه .

هجرس : ولا زوج أمه الأول .

جليلة : (**تتجلد**) تعنى كليب وائل ؟

هجرس : نعم ما يرانى أحد كان قد رآه إلا قال إنى صورة منه .

جليلة : قلت لك سبعين مرة إن ذلك يرجع إلى تسلط خياله علىّ منذ فجعت فيه تلك الفجيعة الدامية .

هجرس : أما زلت تحبينه يا أماه ؟

جليلة : كنت أحبه إذ كان زوجى . أما اليوم فقد صار حبى كله لأبيك .

هجرس : المزدلف ؟

جليلة : (**فى استياء**) ليس من البر أن تدعو أباك بلقبه .

هجرس : معذرة .. عمرو بن الحارث .

جليلة : ولا باسمه .

هجرس : فكيف أدعوه ؟

جليلة : قل أبى فهو أبوك . (**تخرج كالغاضبة**) .

هجرس : لا تقدر أن تواجهنى . لا ريب أنها تكتم عنى أمرا . لِم لا أكون أنا الجنين الذى فى بطنها يوم تركت بنى تغلب ولحقت بأهلها . لكن كيف تزوجها المزدلف ، أبنى بها وهى حامل ؟ يقال إنهما كانا متحابين قبل أن يخطبها كليب . أتراها اشتركت فى دمه ؟ أأنا إذن ابن رجل تواطأت امرأته على اغتياله من أجل حبيبها الأول ؟ لكن هذا معناه أن كليبا أبى ولم يثبت ذلك بعد وعسى أن لا يثبت أبدا . أنسيت إذ سألت القائف فقال لك إن الشبه لا يثبت نسبا ولا ينفيه ؟ أواه كيف السبيل إذن إلى معرفة الحقيقة ؟ جليلة أهى تعرفها والمزدلف أيضا وكذلك خالى جساس . هؤلاء الثلاثة يعرفونها لا ريب . لكن كيف استطاعوا أن يكتموها عن الآخرين ؟ سمعت أنها ولدتنى عند خالتها البسوس فى بنى تميم . غير أنى لما سألت العجوز أنكرت ذلك . لعل الثلاثة ناشدوها أن تكتم هذا السر .

(**يدخل جساس**)

جساس : هجرس ماذا تصنع ؟

هجرس : أخلو إلى نفسى .

جساس : وقومك فى هذه المحنة ؟

هجرس : ماذا أصنع لهم ؟ لا جلاد فأجالد ولا طراد فأطارد .

جساس : هيىء نفسك . إن خيل المهلهل قد تطلع علينا فى أى حين .

هجرس : لا تخف يا خالى . لأكونن كالعادة أول من يركب عند الفزع .

جساس : هذا عهدنا بك . ولكن أشفق عليك من هذه الكآبة التى تستجلبها على نفسك .

هجرس : أستجلبها ؟ يقولون يا خالى إنك أنت الذى جلبت هذه المحنة على قومك .

جساس : كلا ما جلبها عليهم غير كليب .

هجرس : يقولون إن كليبا ما قتل أحدا من قومه قط .

جساس : ولكنه أذلهم والإذلال شر من القتل .

هجرس : أليس هو الذى أعزهم إذ أحرز لهم النصر فى معركة خزازى على جموع مذحج ؟

جساس : إنما انتصر بسيوفنا فلا فضل له .

هجرس : وهل يطلب من قائد الجيش أن ينتصر بسيفه وحده دون سيوف المقاتلين معه ؟ أين إذن فضل القيادة ؟

جساس : لقد أحبط كل فضل له بتجبره وتكبره وبغيه على قومه .

هجرس : أقتلته يا خالى من أجل ذلك ؟

جساس : أجل .

هجرس : يقولون إنك اغتلته غضبا لنفسك .

جساس : بل غضبا لنفسى ولقومى .

هجرس : فى ناقة وفصيلها ؟

جساس : بل فى أمة وقبيلها .

هجرس : أنت زوج أخته وأخو زوجته . فهلا تركت غيرك يقتله ؟

جساس : ما قتلته أنا وحدى . لقد اشترك معى أبوك .

هجرس : المزدلف ؟

جساس : وهل لك أب غيره ؟

هجرس : ما يدرينى ؟

جساس : كلا ليس لك أب سواه .

هجرس : ويحك يا خالى أى شىء أغضبك ؟

جساس : أغضبنى أنك لا تحب أباك .

هجرس : لا يوجد فى الدنيا من لا يحب أباه .

جساس : فما بالك لا تحترمه ولا توقره ؟

هجرس : ما إخال أحدا يحترم أباه ويوقره مثلى .

جساس : فما بالك لا تحسن الحديث عنه ؟

هجرس : كيف لا أحسن الحديث عنه وما لى حديث سواه ؟ إنى لأذكره ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، ويهز أعطافى الفخر كلما ذكر اسمه .

جساس : عمرو بن الحارث ؟

هجرس : (**مداريا**) أجل .. المزدلف الذى طعن طعنة لم يطعنها عربى قبله فأنقذ قومه من طغيان كليب .

جساس : (فى رضى) بوركت يا ابن جليلة . لقد أنصفت الآن أباك ولكنك لم تنصف خالك .

هجرس : كيف ؟

جساس : أنا صاحب تلك الطعنة .

هجرس : يقولون إنه صاحبها .

جساس : لقد كذبوا . أنا طعنته فقصمت صلبه ، وإنما طعنه عمرو ابن الحارث بعدى ومن خلفه .

هجرس : ما أكثر ما تحرف الناس من الوقائع وتشوه من الحقائق .

جساس : لا تصدق يا بنى كل ما يقال .

(يدخل المزدلف)

المزدلف : ليت شعرى عن أى شيء تتحدثان ؟

جساس : عن مقتل كليب وائل .

المزدلف : لعلك زعمت لابنى أنك أنت الذى قتلته وحدك ؟

جساس : أنا أخبرته بالحقيقة ولم أزد .

المزدلف : ماذا زعم لك خالك يا بنى ؟

هجرس : قال إنه صاحب الطعنة الأولى .

المزدلف : هذا حق ولكن طعنتى هى القاتلة .

هجرس : وما يدريك يا أبى ؟

المزدلف : لقد سقط بعدها يفحص برجليه .

هجرس : واستسقاكما فلم تسقياه ؟

جساس : أجل .. جزاء وفاقا على ما كان يمنع الماء عن قومه .

هجرس : ليس من المروءة أن تمنعاه الماء وهو يموت .

(ينظر أحد الرجلين إلى الآخر)

جساس : إن ابنك يا عمرو ليأسى على كليب .

المزدلف : أتأسى عليه وهو عدو قومك ؟

جساس : من أجل الشبه الذى بينه وبينه .

هجرس : بل من أجل أنه بطل يوم خزازى الذى علت به نزار على اليمن .

المزدلف : لكنه يا بنى أراد أن يستذلنا بعد ذلك .

هجرس : بل اتفقتم أنتم أن تؤدوا ما له عليكم من حق .

جساس : أى حق ؟

هجرس : ألم تجتمع معد كلها عليه وجعلت له قسم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته ؟

المزدلف : إنما فعلوا ذلك تحية له وتكرمة ولم يدر بخلدهم قط أنه سيعتبر نفسه ملكا حقا يخضعون له كما تخضع اليمن لملوكها .

جساس : حتى ملوك اليمن لا يصنعون ما كان يصنع كليب .

المزدلف : ولا ملوك العجم .

جساس : كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه .

المزدلف : ويقول وحش كذا فى جوارى فلا يهاج .

جساس : ولا تورد إبل أحد مع إبله .

المزدلف : ولا توقد نار مع ناره .

جساس : ولا يمر أحد إذا جلس .

المزدلف : ولا يحتبى أحد فى مجلسه غيره .

(**يدخل الشيخ مرة ومعه سعدى ونائلة وجليلة فيقف الرجال الثلاثة احتراما للشيخ مرة**) .

مرة : اسمع يا جساس وأنت يا عمرو بن الحارث وأنت يا هجرس .

الثلاثة : نعم .

مرة : يجب أن يتم زفاف سعدى لهجرس فى الحال .
(**يسكت الجميع**) ما بالكم سكتم ؟

جساس : يا أبت إن قومنا أجلوا أعراسهم .

مرة : استجابة لدعوة الحارث بن عباد ؟

جساس : أجل حتى يتم الصلح بيننا وبين تغلب .

مرة : ما شأننا بالحارث بن عباد ؟ إنه اعتزلنا ولم يشترك معنا فى الحرب فلم يصل بنارها كما صلينا ، ولم يهلك من قومه ورجاله ما هلك من قومنا ورجالنا ، وإن الحرب ستطول ولا والله لا أنتظر حتى يفنى رجال بنى شيبان جميعا ولا يبقى إلا النساء .

جليلة : صه يا أبت هذه أم الأغر قد أقبلت .

مرة : فلتسمع أم الأغر لا أبالى .

أم الأغر : (**تدخل**) عموا صباحا يا آل مرة . وعم كنتم تتحدثون ؟

جليلة : كنا نتحدث عن زواج سعدى وهجرس .

مرة : بل كنا نتحدث عن زوجك ما كفاه أن اعتزلنا فلم يشترك معنا فى الحرب . حتى حرج علينا أن نزوج أبناءنا وبناتنا إلا بعد أن تنتهى الحرب .

أم الأغر : إنما فعل ذلك من أجلكم يا بنى شيبان .

مرة : من أجلنا ؟

أم الأغر : نعم . كلما ألححت عليه فى زواج بجير وأسماء قال لى ما يكون لنا أن نقيم عرسا وبنو أبينا من هذه الحرب فى مآتم .

مرة : لو كان صادقا فيما يزعم لما تخلى عنا أحوج ما نكون إليه .

أم الأغر : ما قصد أن يتخلى عنكم وإنما كره هذه الحرب لأنها بين العشيرة ولغير سبب موجب .

مرة : لا غرو أن تدافعى عنه يا أم الأغر فهو زوجك .

أم الأغر : أتظننى راضية عنه ؟ لقد جئت لأشكوه إليك يا أبا همام .

مرة : لتشكيه إلىّ ؟

أم الأغر : أجل يا أبا همام . لقد جاءنا اليوم بأمر عظيم .

مرة : ما يكون يا أم الأغر ؟

أم الأغر : لقد أزمع أن يرسل بجيرا إلى المهلهل .

مرة : ليرجوه أن يكف عنا القتال ؟ هانت والله إذن بكر بن وائل وذلت .

أم الأغر : كلا بل ليقتله المهلهل بكليب .

الجميع : (**بصوت واحد**) ليبوء بجير بكليب ؟

أم الأغر : نعم فانظروا ماذا يصنع بى هذا الرجل . يريد أن يدفع أخى إلى قتل ابنى .

نائلة : كلا لن نقره على ذلك أبدا . ما ذنب بجير ابن أختى ؟

جساس : ما أعجب أمر هذا الرجل . بالأمس كان يقول لا ناقة لى فى الحرب ولا جمل ، واليوم يرسل ابنة ليقتل فى غير ميدان القتال .

أم الأغر : هيا إذن انطلقوا إليه فكلموه عسى أن يعدل عن عزمه .

المزدلف : ها هو ذا قد جاء .

الحارث : (**يدخل**) ويحك يا أم الأغر ، ما رجعت عن عزمى من أجلك وأنت أعز الناس عندى ، إنما رجع عنه بجير من أجل غيرك ؟

أم الأغر : تذكر يا حارث أنه ابننا الوحيد .

الحارث : وما على ابننا الوحيد أن يبوءبأعز رجل فى العرب ؟ والله ليبقين اسمه مقترنا بهذا الشرف إلى الأبد .

أم الأغر : الشرف ؟ ماذا يصنع بالشرف إذا فقد الحياة ؟

الحارث : بل قولى بالحرف ماذا يصنع بالحياة إذا فقد الشرف ؟

أم الأغر : (**للآخرين**) ويلكم . فيم سكتم ؟ ألا تكلمونه وتنصحونه ؟

مرة : حقا ما أعجب أمرك يا ابن عباد ! ما زلت ترفض

الاشتراك معنا فى حرب بنى تغلب وتخذل قبائل بكر عن قتالهم ، حتى إذا غلبونا وقهرونا باجتماع كلمتهم وافتراق كلمتنا ، جئت اليوم لتزيدنا خنوعا لهم ومذلة .

الحارث : أى مذلة وأى خنوع ؟ إنما أريد أن أحقن دماء بكر وتغلب وأعيد السلام بينهما والإخاء .

مرة : كان يجمل بك ذلك لو كنا نحن المنتصرين .

الحارث : وما منعكم أن تكونوا أنتم المنتصرين ؟

مرة : أنت باعتزالك وحيادك .

الحارث : أنا لا أدخل فى حرب لا أومن بوجوبها أو صوابها .

مرة : ولو فرضت عليك فرضا ؟

الحارث : كلا ما فرضها علىّ أحد .

مرة : لو كنت تحب قومك لفرضتها أنت على نفسك .

الحارث : بل حبى لقومى هو الذى حملنى على الاعتزال . أمن أجل ناقة وفيصلها يقتل سيد وائل ، ثم من أجل مقتل رجل واحد تنشب حرب بيننا يذهب فيها آلاف الرجال وتمزق فيها وشائج القربى والرحم .؟

مرة : لو كنت أنت الذى شببتها ما تركناك تقاتل وحدك .

الحارث : لو كنت أنا الجانى يا أبا همام لسلمت نفسى إلى المهلهل ليقتلنى بأخيه .

مرة : هيهات ما كنت حينئذ لتفعل .

الحارث : بلى والله فلكفيت قومى شر هذه الحرب الضروس .

أم الأغر : أفكان ابنك بجير من جُناتها فتسلمه اليوم إلى المهلهل ؟

الحارث : لا بأس أن يفدى قومه بنفسه فيكون سيدهم جميعا .

أم الأغر : أليس فى قبائل بكر بن وائل على كثرتها من ينهض بهذا الأمر غير ابنى الوحيد .

الحارث : لقد انقضت عشرون عاما منذ بدأت هذه الحرب ولم يتقدم لهذا الأمر أحد .

(يدخل بجير وأسماء فتتعلق بهما الأبصار ثم يجلسان بجانب هجرس وسعدى اللذين استقبلاهما بحفاوة) .

أم الأغر : وما ذنب بجير فى ذلك ؟

جساس : لا تراعى يا أم الأغر أنا أولى بهذا الأمر من بجير .

نائلة : ماذا تقول يا جساس ؟

جساس : أنا الذى قتلت أخاك يا نائلة فأنا أولى أن أقتل به .

نائلة : كلا والله لا تسلم نفسك للمهلهل أبدا .

مرة : والله لئن فعلتها يا جساس لأبرأن منك إلى الأبد .

جساس : أيرضيك يا أبى أن يقوم بها بجير بن الحارث ؟

مرة : كلا لا أنت ولا بجير . أبعد أن ذهب منا آلاف الرجال ؟ هلا كان ذلك من قبل ؟

بجير : ويحكم يا قوم . لم تنفسون على هذا الشرف ؟

أم الأغر : إنهم يخافون عليك يا بنى .

بجير : ويحكم أوَقد نسيتم أن المهلهل خالى ؟ فعسى أن يقبل فدية أبى ولا يقتلنى .

أم الأغر : هيهات يا بنى . إنك لا تعرف خالك . إنه زئر نساء .

بجير : أحرى بزئر النساء أن يكون رقيق القلب عطوفا .

أم الأغر : كلا إن صواحبه الفواجر قد استهلكن كل ما عنده من رقة وعطف .

نائلة : لعلك نسيت يا أختاه أن أخانا عديا ليس ككليب .

أم الأغر : كليب أفضل عندى منه . كليب لا يغدر ولا يراجى ولا ينافق .

نائلة : لكنه كان جبارا .

أم الأغر : والمهلهل جبار صغير . والجبار الصغير شر من الجبار الكبير .

نائلة : إنك تتحاملين عليه يا أختاه .

أم الأغر : لا تحاولى أن تخدعينى يا نائلة . أنك تكافحين عنه لحاجة فى نفسك .

نائلة : ماذا تعنين ؟

أم الأغر : أشفقت على زوجك فصرت لا تبالين بابن أختك .

نائلة : كلا أنا لا أرى أن يذهب إليه لا بجير ولا جساس .

هجرس : اسمعوا يا قوم . أنا الذى سأذهب .

جليلة : كلا يا هجرس . أنت ابنى الوحيد ولا أستطيع أن أخسرك .

هجرس : ألا تحبين يا أماه أن تنتهى هذه الحرب ويعود السلام ؟

جليلة : أى سلام يبقى لى إن أنا خسرتك .

المزدلف : لعلكم تقولون الآن لأنفسكم . لماذا لا ينتدب المزدلف للقيام بهذه المهمة ، فاعلموا أن ذلك ليس عن جبن منى أو ضن بنفسى على قومى ، ولكن لا أرى أن نستسلم للمهلهل أبدا وإلا ففيم قَتلْنا كليبا الطاغية وفيم واصلنا الحرب عشرين سنة ؟

بجير : عجبا لكم . لقد مكثتم عشرين سنة فى الحرب ولم يخطر لأحد منكم أن يفدى قومه بنفسه حتى إذا عزمت اليوم أن أفعل ذلك طفقتم تنافسوننى فيه . لا والله لا أدع أحدا ينازعنى هذا الشرف أبدا .

أم الأغر : بجير .

بجير : اطمئنى يا أماه سأرجع إليك .

أم الأغر : كلا لا يجتبيها غيرنا ثم ندفع نحن الثمن .

(يدخل نشوان مسرعا وهو يلهث من الجرى)

نشوان : (**صائحا**) يا لشيبان . يا لذهل بن شيبان .

مرة : ماذا وراءك يا نشوان ؟

نشوان : الغارة الغارة يا سيدى . الخيل الخيل .

مرة : خيل من ويلك ؟

نشوان : خيل المهلهل .

مرة : أين ؟ (**تضطرب النساء ويعتريهن الروع**) .

نشوان : فى بطن الوادى .

مرة : إلى الخيل يا بنى شيبان . إلى الخيل .

(يخرج هجرس وجساس والمزدلف مسرعين ويدلف مرة ليخرج) .

الحارث : وأنت يا أبا همام تريد الخروج معهم ؟

مرة : فى مقدمتهم يا ابن عباد . أنا لست مثلك . أعددت جوادى يا نشوان ؟

نشوان : نعم يا سيدى .

مرة : أعرنى يدك .

(يضع يده على يد نشوان ويخرجان)

(ستـار)

« المشهد الثانى »

مضارب بنى بكر
فناء بيت الحارث بن عباد .

(عند رفع الستار نرى الحارث بن عباد وحوله جماعة من بكر فيهم مرة وجساس والمزدلف والهجرس ومن خلفهم أم الأغر ونائلة وجليلة وسعدى وأسماء واقفين وأمامهم المهلهل فى حشد من رجاله من بنى تغلب والجميع شاكو السلاح) .

الحارث : مرحبا بك يا مهلهل وبمن معك . أنتم على الرحب والسعة .

المهلهل : ما جئنا مسالمين يا حارث بن عباد بل مفاوضين .

الحارث : مرحبا بكم مسالمين أو مفاوضين . ماذا فعلت ببجير ابنى ؟

المهلهل : فى شأنه جئت اليوم إليك . ماذا حملك على إرساله إلىّ ؟

الحارث : لتقتله بكليب فتنتهى هذه الحرب بين العشيرة ويعود السلام إلى بكر وتغلب .

المهلهل : لا تقدم اسم بكر على اسم تغلب .

الحارث : (**يضحك**) ....؟

المهلهل : ماذا يضحكك ؟

الحارث : إنى لا أعرف أى الأخوين هو الأكبر فهل تعرف أنت ؟

المهلهل : لا ولكن بنى تغلب جعلوا أباهم هو الأكبر والأعز .

مرة : ربما يتبدل الحال غدا يا عدى بن ربيعة .

المهلهل : هيهات .

الحارث : فليكن ما تريده ليعود السلام بين تغلب وبكر .

مرة : إلامَ يا ابن عباد تعطى الدنية فى قومك .؟

الحارث : مهلا يا أبا همام لا تدخل بينى وبين صهرى .

مرة : ويلك إنك تذل له بكر بن وائل .

المهلهل : بل يحاول أن ينقذها من الذل الذى هى فيه .

مرة : كلا بينها وبين الذل بعد المشرقين .

المهلهل : ففيم إذن تلتمسون منا الصلح ؟

مرة : صهرك هذا هو الذى التمسه لا نحن .

المهلهل : والله يا حارث إنهم لا يستحقون أن تفتديهم بابنك .

الحارث : ابنى هو الذى اختار أن يفدى قومه بنفسه .

أم الأغر : كلا لا تصدقه يا عدى هو الذى أمره بذلك .

المهلهل : ويحكم إن كنتم تريدون السلام حقا فهلا بعثتم رجلا آخر غير بجير ؟

الحارث : أتستصغره يا مهلهل ؟

المهلهل : لا . إنه لأكرم فتى فيكم ولكنه ابن أختى .

الحارث : أليس ذلك مما يزيده رفعة عندك ؟

المهلهل : بلى ولكنه يغل يدى عن ذبحه .

الحارث : كلا لا تأخذك به رأفة . اذكر إن كنت تحبه وتعزه أن اسمه سيقترن باسم كليب فينال بذلك عز الدهر .

المهلهل : ما إخالها إلا من هنيهاتكم يا بنى بكر .

الحارث : ماذا تعنى ؟

المهلهل : ما اخترتم ابن أختى هذا إلا لكى أهدر لكم دم كليب .

الحارث : فأحبط مكيدتنا إذن وأرنا أن دم كليب لا يمكن أن يهدر أبدا .

أم الأغر : بل اردده إلينا يا أخى واطلب منهم رجلا آخر .

المهلهل : ليس فيهم عدل لكليب يا أم الأغر إلا الحارث بن عباد .

أم الأغر : ويحكم ألا يوجد غير ابنى أو بعلى ؟

المهلهل : أو مرة بن ذهل ؟

مرة : هيهات والله لا أقبل أن أبوء بألف كليب .

المهلهل : يا هامة اليوم أوغد . أوَقد غرك أن ذكرتك ؟ أنت والله لا تبوء بشسع نعل كليب .

هجرس : (**يتقدم**) إن يكن جدى شيخا كبيرا فأنا فى ميعة الشباب .

المهلهل : (**ينظر إليه مبهوتا**) اللهم كليب . من تكون يا فتى ؟ ابن جليلة ؟

هجرس : أنا هجرس بن عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان .

المهلهل : وأمك جليلة ؟

هجرس : نعم .

المهلهل : لا ريب أن أمك لم تستطع أن تنسى وجه كليب ليلة حملت بك فجئت أنت على صورته .

هجرس : خذنى فاقتلنى به .

المهلهل : كلا والله لا أقتل كليبا بكليب . ويحك يا جليلة بنت مرة ، ما كان ينبغى لك أن تتزوجى بعد كليب فإنك لن تجدى مثله أبدا .

نائلة : كذبت يا أخى . لقد وجدت خيرا منه ابن عمها عمرو ابن الحارث .

المهلهل : نائلة . هلا تركت جليلة عن نفسها تجيب ؟

نائلة : إنها أكرم على نفسها من أن تساجلك مثل هذا الحديث .

المهلهل : بل تحملين الضب بعد على أخيك كليب أن كان غير راض عن زواجك لجساس . لقد أدرك بثاقب بصره ما ينطوى عليه جساس من غدر ومكر فأراد أن يختار لك رجلا أكرم منه وأفضل .

نائلة : بل رآه فارسا عظيما فغار منه .

المهلهل : لبنيك الخبل يا أخت السوء . أكليب يغار من أحد ؟

جساس : على رسلك يا نائلة . أتقبلنى أنا يا عدى بن ربيعة ؟

المهلهل : على أن يكون معك المزدلف ابن عمك .

المزدلف : بئس ما منتك نفسك . إنك لن تنالنى أبدا إلا فى ميدان القتال .

المهلهل : ما رأيت كاليوم دماثة شجاع ووقاحة جبان .

(**يشير إلى الحارث ثم إلى المزدلف**) .

المزدلف : وما رأيت كاليوم غرور منتصر .

المهلهل : حقا والله ما كان لى أن أستجيب إلى دعوة سلم منكم أبدا حتى لا يبقى منكم على ظهرها أحد .

المزدلف : الدعوة لم تكن ممن قاتلوك بل ممن لم يقاتلوك .

المهلهل : (**ينشد فزعا**) .

أكثرت قتل بنى بكر بسيدهم

المزدلف : هو سيدكم أنتم وليس بسيدنا .

المهلهل : حتى بكيت ولا يبكى لهم أحد

المزدلف : غدا تبكى على بنى تغلب .

المهلهل : أقسمت بأبى ، لا أرضى بقتلهم

حتى أبهرج بكرا أينما وجدوا

مرة : كذبت . إننا نرى أن نقتل جميعا ولا يبهرجنا أحد .

المهلهل : لن تهدأ نفسى حتى أبهرجكم جميعا ، فلا يكون لأحدكم قيمة ولا قدر .

مرة : سمعت يا حارث بن عباد ؟ كل هذا من اعتزالك واعتزال من شايعوك من قبائل بكر .

الحارث : ويلك يا مهلهل ! أجئت تفاوضنا أم جئت تستثيرنا ؟

المهلهل : بل هم الذين استثارونى . وإنى ماض الآن ولن تروا وجهى إلا فى المعمعان .

الحارث : إنك لم تجبنى بعد ماذا أنت صانع ببجير ابنى ؟

المهلهل : سترى عما قريب ماذا أصنع به .

(يتوجه نحو اليسار ليخرج هو ومن معه)

أم الأغر : ابن أختك يا عدى . إياك أن تمسه بسوء .

المهلهل : وكليب أخوك يا أم الأغر . أنسيت كليبا أخاك ؟

أم الأغر : إن قتلته يا أخى فلن ترى وجهى أبدا .

المهلهل : (**صوته**) أى أختاه قد احتجب عنى وجه كليب منذ عشرين سنة .

(يسمع صوت انطلاقهم على خيولهم مبتعدين)

أسماء : (**لأم الأغر**) اطمئنى يا خالة ، إن لأبى مكانة عند المهلهل وقد تعهد لى ألا يدعه يقتل بجيرا أبدا .

(تخرج مسرعة ثم يسمع انطلاق جوادها خلفهم)

نشوان : (**منتحيا بأخيه ذكران جانبا**) ماذا نصنع يا ذكران ؟ سيصطلح الحيان .

ذكران : كلا لن يتم الصلح بينهما أبدا .

نشوان : إذا قبل مولاك المهلهل أن يقتل بجيرا بكليب فقد انتهى كل شيء .

ذكران : كلا بل سوف يتسع نطاق الحرب ويشترك فيها الحارث ابن عباد وسائر قبائل بكر بن وائل .

نشوان : أنت دبرت ذلك ؟

ذكران : وأحكمت التدبير .

نشوان : كيف ؟

ذكران : عما قليل تسمع . دعنى ألحقهم الآن .

(يخرج مسرعا)

الحارث : فيم كنتما تتهامسان أنت وأخوك ؟

نشوان : يا سيدى عم يتحدث الشقيقان التقيا عرضا بعد فراق طويل ، إلا عن شئونهما الخاصة ؟

الحارث : أليس يعنيكما هذا الذى نحن فيه ؟

نشوان : أنتم سادتنا لا يصح أن ندخل فيما بين بعضكم وبعض

الحارث : أتعجبك يا نشوان هذه الحرب ؟

نشوان : أى شىء يعجبنى فيها وأيسر ما أصابنى منها أن يبعد بينى وبين ذكران أخى فلا نلتقى إذا التقينا إلا فواقا وعلى حذر .

مرة : اسكت يا عبد السوء . لو كان فيك خير لمواليك ما قلت هذا .

نشوان : يا سيدى الكبير لو كان ذكران عندكم معى ، أو كنت أنا معه عند بنى تغلب لما باليت تطول الحرب أو لا تطول .

مرة : ويحك ألا يعنيك إلا أخوك ؟ ألا تعلم أن لنا نسبا وصهرا فى بنى تغلب ، خيرا ألف مرة من أخيك العبد ؟

نشوان : يا سيدى ماذا أملك لكم إذا كان قطع الأرحام أحب إليكم من وصلها ؟

مرة : اسكت قبحك الله .

الحارث : والله إن فى كلام العبد لكثير من الحق .

جليلة : **(تندفع بعد صمتها طول الوقت)** إى والله يا ابن عباد .

مرة : وأنت أيضا يا جليلة ؟

جليلة : يا أبت تلك وجيعتى قبل أى أحد غيرى . يا أبت إننى قاتلة مقتولة كل يوم .

مرة : دعينى يا جليلة من أضاليل شعرك .

جليلة : يا أبت ما هذا من أضاليل الشعر . يا أبت كلما سقط قتيل من بكر أو تغلب شعرت كأننى قتلت نفسى .

الحارث : هيه يا جليلة يا شاعرة وائل . لقد مر عشرون خريفا وما زالت كلماتك غضة تتناجى بها كل بكرية وتغلبية :

ليس من يبكى ليومين كمن إنما يبكى ليــوم مفصل

مسنى خطب كليب بلظى من ورائى ولظى مستقبلى

هدم البيت الذى استحدثته وانثنى فى هدم بيتى الأول

أم الأغر : عجبا لك يا حارث . ترثى لما أصابها فى زوجها منذ عشرين خريفا وقد تزوجت غيره ، ولا ترثى لأم توشك أن تفقد ابنها الوحيد فلا تجد به بديلا .

الحارث : إن ابنك يا أم الأغر قد اختار أن يحقن بدمه دماء الألوف من بنى قومه فيكون سيدهم جميعا ، فمثله جدير أن تهنأ أمه لا أن يرثى لحالها .

أم الأغر : أنت الذى دفعته إلى ذلك ، ولا والله لا يصفو لك قلبى بعدها أبدا .

الحارث : أنت تعلمين أنه اختار ذلك من تلقاء نفسه ، ولوددت

لو سبقته أنا إلى هذا الشرف .

أم الأغر : هأنتذا قد اعترفت بلسانك . لقد أيقن الفتى المسكين أنك ستفدى قومك بنفسك ، فما وسعه إلا أن جعل نفسه فداك .

الحارث : يا أم بجير لِم تحاولين أن تقللى من تضحية بجير ؟

أم الأغر : لو كنت قد اشتركت فى الحرب فلقيت من الهزيمة ما لقى قومك ، وأشفقت عليهم أن يستأصلوا فقدمت ابنك فى سبيلهم لعذرتك . أما أن تعتزل الحرب طوال عشرين سنة لا ناقة لك فيها ولا جمل ، ثم تجىء اليوم فتدِفع ابنك الوحيد ليقتل صبرا فى غير ميدان القتال ، فهذا ما لا طاقة لأحد به ولا صبر لأحد عليه .

نشوان : تجلدى يا مولاتى فعسى أن يرق أخوك المهلهل لابن اخته فيبقى عليه ، ويقبل الصلح إكراما له .

أم الأغر : هيهات يا نشوان . هيهات أن يهدر المهلهل دم كليب .

نشوان : فعسى أن يرفض الصلح يا مولاتى ويعيد ابنك إليك .

أم الأغر : هذا قصارى الرجاء يا نشوان ، وإنه لرجاء ضعيف .

نشوان : ليس هناك من احتمال آخر . إما أن يقبل الصلح أو لا يقبله ، وفى كلتا الحالتين سيبقى على ابن اخته .

أم الأغر : ما يدريك ؟ إن للمهلهل بدوات ، وإن خمرة النصر قد أسكرته فلا يكاد يعى ما يفعل .

نشوان : (**ينظر أمامه فيصيح**) انظروا يا موالى . فارس ينطلق

نحونا كأنه سهم من غبار .

أم الأغر : ترى من يكون ؟

أصوات : لا تستطيع أن تتبين شخصه . الغبار يستره .

الحارث : ويلكم ! إن لم تكذبنى عينى فهذه أسماء ابنة أختى .

أم الأغر : أسماء . ما جاء بها ورب الكعبة إلا شر مستطير .

(يصمت الجميع فى قلق وتوقع وتتعلق الأنفاس)

(يقترب وقع حوافر فرسها ثم ينقطع)

أسماء : (**صوتها باكية**) الويل والثبور يالبكر . الويل والثبور .

أم الأغر : ألم أقل لكم ؟

الحارث : ما الخطب يا أسماء ؟

أسماء : وابجيراه . واشباباه .

أم الأغر : (**تصيح متفجعة**) واولداه ! واقرة عيناه !

الحارث : قتله المهلهل ؟

أسماء : (**باكية**) قتله زير النساء .

نائلة : وأبوك ، ألم يصنع شيئا أبوك ؟

أسماء : بلى توسل إليه أبى . وناشده القرابة والرحم . ثم هدده وتوعده فما ازداد إلا عتوا وعنادا .

الحارث : أتولى هو قتله بنفسه ؟

أسماء : نعم .

الحارث : وأين قتله ؟

أسماء : بالأبيرق .. غير بعيد منكم .

الحارث : احتبسه هناك حين جاء إلينا ؟

أسماء : نعم .

الحارث : ما أقسى قلبه .

أسماء : زير النساء .

الحارث : وكيف قتله .

أسماء : طعنه برمحه فقصم صلبه .

الحارث : وكيف وقف بجير ؟

أسماء : رافع الرأس رابط الجأش .

الحارث : مرحى مرحى ، لقد صار ابنى سيد وائل .

مرة : عزاءك يا أم بجير . عزاءك يا أبا بجير .

الجميع : عزاءك يا أم بجير . عزاءك يا أبا بجير .

الحارث : نعم الغلام غلام أصلح بين ابنى وائل وباء بكليب ، والله لولا حزن أمه عليه وما تجد من مرارة الثكل لقلت لكم هذا مقام التهنية لا التعزية .

أسماء : رويدك يا أبا بجير ، إنك لم تدرك بعد عظم المأساة .

الحارث : بلى يا أسماء ، بيد أنى قد وطنت نفسى على احتمالها كيفما تكون .

أسماء : ليس ذلك يا خالى ما أعنيه ؟

الحارث : فماذا تعنين يا بنيتى ؟

أسماء : إنه أبى أن يجعله عدلا لكليب .

الحارث : فكيف إذن قتله ؟

أسماء : قتله بشسع نعل كليب .

الحارث : ماذا تقولين ؟

أسماء : قال لبجير وهو يطعنه . بؤ بشسع نعل كليب .

(**همهمة استنكار بين الحاضرين**)

هجرس : تبا له من غادر أثيم ! تبا لزير النساء ! والله لو كان المهلهل أبي لقتلته بيدى ولا حرج .

الحارث : أنت سمعت ذلك منه يا أسماء ؟

أسماء : وسمعه كل من كان هناك من وحش وأنيس .

الحارث : أنت سمعت ذلك منه ؟

أسماء : وسمعه ظل الأبيرق وماؤه ، ورمله وحصباؤه ، وأرضه وسماؤه .

الحارث : أنت سمعت ذلك منه ؟

أسماء : وسمعت رد بجير عليه وهو يموت .

الحارث : ماذا قال ؟

أسماء : إن رضيت بهذا بنو ثعلبة فقد رضيت .

الحارث : كلا يا بجير . لا أرضى بذلك ولا ترضى بنو ثعلبة (**ينادى بأعلى صوته**) يا آل بنى ثعلبة . يا معشر بنى يشكب . إلى الخيل وإلى السلاح . لقتال بنى تغلب .

أصوات : (**يتجاوب بها الأفق**) لبيك يا أبا بجير . لبيك يا أبا بجير .

الحارث : انطلقوا فلا تدعوا قبيلة من قبائل بكر بن وائل إلا قلتم لها

إن الحارث بن عباد يستنفرها للقتال .

أصوات : لبيك يا أبا بجير . لبيك .

مرة : مرحى مرحى بوركت يا ابن عباد (**يقبل رأسه**) الآن أنت سيد بنى بكر وقائد بنى بكر .

أسماء : لن يشفي حر صدرى يا خال إلا أن أرى رأس المهلهل بين يديك .

الحارث : لترين رأسه غدا ، يلعب به أطفال بنى بكر .

مرة : جساس . عمرو بن الحارث . ما وقوفكما واجمين ؟

جساس : أذهلنا يا أبت عظم المصاب .

المزدلف : وشناعة الغدر .

مرة : ويلكما . قبلا رأس هذا السيد واسرجا له فرسه .

الاثنان : حبا وكرامة (**يقبلان رأس الحارث**) .

جساس : أى فرسيك نسرج لك يا أبا بجير ؟

المزدلف : النعامة أم الخزروف .

الحارث : النعامة فهى للحرب .

جليلة : واحسرتاه على وائل . لقد ضاع اليوم ما بقى فيها من حلم .

الحارث : يا شاعرة وائل . دعينى اليوم أكن شاعرها مكانك .

مرة : وفارسها الصنديد والله .

الحارث : (**ينشد**) .

قربا مربط النعامــة منــى
لقحت حرب وائل عن حيال
لا بجير أغنــى قتيــلا ولا
رهط كليب تزاحفوا عن ضلال
لم نكـن من جناتها علم الـ
ـله وإنما بحرها اليــوم صال

مرة : هذا هو الشعر والله .

الحارث : لهف نفسى على بجير إذا ما
جالت الخيل يوم حرب عضال
قتلوه بشسع نعــل كلــيب
إن قتـل الكـريم بالشسع غال
ويمينــا لأقتلــن ببــجير
عدد الـذر والحصى والرمـال

(ستار)

الفصل الثانى

في معسكر بني بكر .
خيمة الحارث بن عباد رئيسهم .
الوقت : عند القيلولة .

(يرفع الستار عن الحارث نائما فى خيمته وقد ظهر فى فنائها عبد أسود يدب دبيبا صوب الحارث ، ومن خلف العبد أسماء كأنها تقتفى أثره لترى ماذا يفعل وبيدها هراوة ، وخلف أسماء هجرس كأنه يقفو أثر العبد كذلك . وما يكاد العبد يشهر خنجره لينقض على الحارث حتى أهوت بالهراوة على يده فسقط الخنجر على الأرض) .

أسماء : (تصيح) خذ حذرك يا خال .
(يثب الحارث على العبد فيجد هجرسا قد سبقه إليه)
هجرس : لا ترع يا عم . (يهم أن يضربه بالسيف) .
الحارث : كلا لا تقتله يا هجرس . (يضغط العبد بين ذراعيه القويتين) أوثقه كتافا .
أسماء : (تناوله حبلا) خذ هذا الحبل .

(تساعد هجرسا فى تكتيفه)

الحارث : بوركت يا هجرس إذ أنقذتنى .

هجرس : الفضل لأسماء يا عم . هى التى أسقطت الخنجر من يده .

الحارث : وبوركت يا أسماء . بوركتما معا . من يكون هذا الأسود ؟ هل تعرفانه ؟

أسماء : لا يا خال لا نعرفه .

هجرس : لكنى رأيته أمس يجوس خلال خيامنا ومعه نشوان .

الحارث : علىّ بنشوان .

هجرس : أنا لك بنشوان (**يخرج منطلقا**) .

العبد : أنا أخبرك يا سيدى إن شئت .

الحارث : من تكون ؟

الغبد : أنا عبد لبنى تميم أرسلنى المهلهل لاغتيالك وجعل لى جعلا على ذلك .

الحارث : وماذا كنت تصنع مع نشوان ؟

العبد : قاتله الله . لعله هو الذى أنذركم بى .

الحارث : ماذا كنت تصنع معه ؟

العبد : سلمته رسالة حملنيها له أخوه ذكران . يا ليتنى ما فعلت .

(يعود هجرس ومعه نشوان)

الحارث : هل تسلمت رسالة من أخيك ذكران ؟

نشوان : نعم يا سيدى . حملها لى هذا العبد .

الحارث : أين هى ؟ أرنيها .

نشوان : (**يناوله الرسالة**) ما كنت أعلم يا سيدى أنه جاء لارتكاب هذه الجريمة .

العبد : قبحك الله وهل كنت تريد منى أن أخبرك ؟

نشوان : لا شك عندى أنك خدعت ذكران ، وإلا لما رضى أن يبعث رسالته معك .

الحارث : سلام وصحة وأشواق . خذ .

(**يعيد الرسالة إلى نشوان**)

نشوان : هذا يا سيدى أهم عندنا من الخصومة والحرب ، والطعن والضرب .

الحارث : تقول : المهلهل هو الذى أرسلك ؟

العبد : أجل .. أتستكثرون عليه هذه الخسة وهذا الغدر ؟

الحارث : لا .. هو أغدر من ذلك وأخس .

العبد : معذور . أنت الذى ألجأته إلى هذا السبيل . وألبت الهزائم عليه حتى صارت نساء تغلب يتندرن عليه .

الحارث : (**يعجبه الحديث**) يتندرن عليه ؟ كيف ؟

العبد : آه . لو علم أننى أحدثك عن أخباره لأخرج لسانى من قفاى .

الحارث : لا تخف لن أمكنه منك .

العبد : إنه يا سيدى حُوَّل قُلَّب ، لا يعصمنى منه مكان

ولا زمان .

الحارث : بل هو رعديد جبان ، وإلا لنازلنى فى الميدان ، ولم يرسل لاغتيالى العبيد والأمنان[١] .

العبد : جبان دونك يا سيدى ولكنه أسد علىّ .

الحارث : ويلك خبرنى كيف يتندرون عليه ؟

العبد : يسألنه عن آبائهن وإخوانهن وبعولتهن وأبنائهن ، كيف ذهبوا جميعا فى الحرب وبقى هو .

(يضحك الحارث ويتضاحك الآخرون) .

الحارث : فماذا يجيبهن ؟

العبد : يقول لهن منشدا :

ليس مثلى يخبر الناس عن ... آبائهم قتلوا وينسى القتالا

لم أرم عرضة الكتيبة حتى انـ ... ـتعل الورد من دماء نعالا

عرفته رماح بكر فما يأ ... خذن إلا لبانه والقذالا

الحارث : أما والله لقد صدق ابن اختنا .

العبد : أهو ابن اختكم يا سيدى ؟

الحارث : أمه المرادة بنت تعلبة البشكرية .

العبد : فهو إذن ليس بالرعديد الجبان .

الحارث : لكنه غدار خوان . أتمم .

العبد : غلبونا ولا محالة يوما ... يقلب الدهر ذاك حالا فحالا

---

(١) جمع أمنة ، أى الموثوق بهم .

الحارث : لقد كذب زئر النساء. والله ليبقين فى هزيمته حتى أظفر برأسه .

العبد : لن تظفر برأسه يا سيدى إلا إذا عرفت المكان الذى يأوى إليه كلما هزم .

الحارث : أتعرف أنت المكان ؟

العبد : قطع الله لسانى . ليتنى ما قلت هذا القول .

الحارث : أنت إذن تعرف مكانه .

العبد : مغنى من مغانيه الكثر يشرب ويقصف فيه مع خلانه وخلائله .

الحارث : لا تداورنى يا عبد السوء . والله لا أدعك حتى تدلنى عليه .

العبد : أنت لا محالة قاتلى ، فماذا يدفعنى إلى أن أدلك عليه ؟

الحارث : وإذا أبقيت عليك وخليت عنك ؟

العبد : إذن فلن تكون حياته أثمن عندى من حياتى .

الحارث : دلنى على مكانه وأنا أخلى عنك .

العبد : عليك العهود بذلك ؟

الحارث : نعم .

العبد : احلف لى على ذلك .

الحارث : قد فعلت .

العبد : أتشهدون يا قوم على ذلك .؟

(يسكت القوم)

الحارث : ويحكم قولوا نعم نشهد .

القوم : نعم نشهد على ذلك .

العبد : فإنى أنا عدى بن ربيعة (**ينظرون إليه مبهوتين**) أنا المهلهل . وما هذا السواد إلا طلاء طليت به وجهى وأطرافى .

(**يكشف القميص عن صدره فإذا هو أبيض**) .

أم الأغر : اقتله يا أبا بجير . قد أمكنك الله منه .

المهلهل : ويحك يا أم الأغر . إن شاء زوجك أن يخيس بعهده فليفعل .

هجرس : دعنى يا عم أضرب عنقه (**يسل سيفه**) .

الحارث : كلا ويلكم لا أنقض عهدى أبدا .

أسماء : دعهم يقتلوه يا خالى فليس لمثله عهد .

المهلهل : أسماء بنت امرئ القيس بن إبان . يا بنت أخى لا حق لك أن تحضى خالك على قتل أبيك .

أسماء : وما شأن أبى ويلك ؟

المهلهل : إنى جئت فى الوفد الذى يرأسه أبوك .

الحارث : فى الوفد . أنت كنت فى الوفد ؟

المهلهل : نعم .

أسماء : لقد خدعت أبى إذن عن حقيقتك .

المهلهل : كلا بل أنا متواطئ معه .

أسماء : كذبت . إن أبى لا يستحل الغدر مثلك .

المهلهل : أجل لا يستحله فى العلن ، ولكن يستحله فى السر .

أسماء : كذبت . لا فى العلن ولا فى السر .

المهلهل : هذه شئون لا تدركها الفتيات النواهد .

أسماء : أنت تعلم أننى فارسة مقاتلة .

المهلهل : بسلاح عينيك .

أسماء : لولا كلمة خالى لخرقت حجاب قلبك بهذا السيف .

(**تشهر سيفها**)

المهلهل : سيفك هذا ليس بأمضى من عينيك .

أسماء : ما علمك بالسيوف يا زئر النساء ؟

المهلهل : صدقت يا بنية . أنا بالعيون أخبر منى بالسيوف .

أم الأغر : دعى هذا الداعر يا أسماء لا تساجليه .

أسماء : إنه يكذب على أبى يا خالة .

المهلهل : ماذا تراك صانعة لو علمت أن أباك حرضنى سرا على قتل بجير ؟

أسماء : أيها الكذاب الأشر . لقد ناشدك أمامى أن تبقى عليه .

المهلهل : أجل ناشدنى جهرا وحرضنى سرا .

أسماء : ما أكذبك وأجرأك على الحق .

المهلهل : أتريدين البرهان ؟

الحارث : هات البرهان .

المهلهل : لن أفضى به إلا إليك وحدك .

الحارث : أعنى يا هجرس . (**يفك الكتاف عن المهلهل**) .

أسماء : لا تصدقه يا خالى ، إنه يحقد على أبى لأنه يندد به فى

قومه .

(ينتحي المهلهل والحارث جانبا حيث يسر المهلهل حديثا إلى الحارث) .

أم الأغر : هيه .. أبوك إذن كان السبب ؟

أسماء : معاذ الله يا خالة . هذا كذب .

أم الأغر : ويفاوض اليوم فى الصلح . وينزل ضيفا عندنا هو والوفد الذى معه .

أسماء : هذا دليل على براءته .

أم الأغر : بل على مكره . أمس حرض المهلهل سرا على قتل بجير . واليوم يجيء به سرا فى وفد الصلح ليغتال الحارث .

أسماء : يا خالة كيف تصدقين هذا الهراء ؟

أم الأغر : إن الذى يصنع هذا يصنع ذاك .

أسماء : معاذ الله أن يصنع أبى هذا أو ذاك .

أم الأغر : إنه يحقد على خالك منذ منعه ميراث أمك وجعله لك .

أسماء : كلا بل هذا من حقدك أنت على أمى ، لأن خالى كان يؤثرها عليك .

أم الأغر : أحقد عليها وهى فى التراب ؟

أسماء : وجهت حقدك بعدها إلى أبى وإلىّ . والله لأخبرنه بما يقال عنه من وراء ظهره .

أم الأغر : أخبريه . ضيف ويأتمر !

(تخرج أسماء منطلقة)

(يعود الحارث والمهلهل إلى حيث كانا)

الحارث : لهف نفسى على عدى ولم
أعرف عديا إذ أمكنتنى اليـدان

المهلهل : إن عهـدا قطـعت يا ابـن عباد
لهو عهـــد موثـــق الأيمان

الحارث : لا تخف إننـــى أصون مواثيـــ
ـقـــى وإن زلـــزلت لها أركانى

المهلهل : ذلك الظن فيك يا سيـد الحيـ
ـن لو كان ينصف الحيـــان
والآن من يوصلنى إلى مأمنى ؟

الحارث : امض بعملك يا هجرس .

المهلهل : هل تثق بهذا الفتى ؟

الحارث : لا أثق إلا به .

هجرس : هلم . (**يخرج ومعه المهلهل**) .

الحارث : (**ينشد معجبا**) :
ذلك الظن فيك يا سيـد الحيـ
ـن لو كان ينصف الحيـــان

أم الأغر : ساحر والله .

(تعود أسماء ومعها أبوها امرؤ القيس بن إبان التغلبى) .

امرؤ القيس : أين الغادر ؟

الحارث : مضى لسبيله .

امرؤ القيس : أطلقته ؟

الحارث : وبعثت معه من يوصله إلى مأمنه .

امرؤ القيس : بعد الفعلة التى فعلها .؟

الحارث : أنا لا أنقض عهدى .

امرؤ القيس : هذا فاسق خليع لا عهد له .

الحارث : الذنب ذنب الذى تستر عليه .

امرؤ القيس : أوَقد ظننتم حقا أننى كنت أعرف أنه المهلهل ؟

الحارث : ألم يكن بين رجال وفدك ؟

امرؤ القيس : لا أحد منا كان يعرف . لقد ظنوا أنه عبدى وظننت أنه عبد أحدهم . قاتله الله ! كان يخدمنا طول الطريق .

الحارث : بل خطة دبرتماها معا أنت وهو .

امرؤ القيس : هذه فرية افتراها المهلهل ليفسد ما بينى وبينك .

الحارث : لا تحاول أن تخدعنى بعد .

امرؤ القيس : ويلك يا حارث ! أتصدق زئر النساء وتكذبنى ؟

الحارث : قد اعترف لى بكل شىء .

امرؤ القيس : بماذا ؟

الحارث : بتواطئه معك .

امرؤ القيس : على ماذا ؟

الحارث : على أن يحاول هو اغتيالى ، فإن أخفق حاولت أنت إقناعى بالصلح .

امرؤ القيس : هذا إفك وبهتان . ليس بينى وبين المهلهل إلا العداوة والخصومة منذ فعل فعلته فى بجير ابنك .

الحارث : أنت الذى حرضته سرا على ذلك ؟

امرؤ القيس : أوَقد زعم لك ذلك .؟

الحارث : اعترف لى بذلك .

امرؤ القيس : اعترافه لا يسرى إلا على نفسه .

الحارث : وعلى شريكه .

امرؤ القيس : كلا لست شريكه .

الحارث : ألم تقل لى أمس إنك على استعداد إذا لم أقبل الصلح إلا برأس المهلهل ، أن تقدم نفسك لى لتقتل ببجير ؟

امرؤ القيس : بلى هذا حق .

الحارث : لأنك لا تريد أن تسلم لى رأس المهلهل .

امرؤ القيس : بل لأنه لا سبيل إليه .

الحارث : لا سبيل إليه وهو فى رحلك ؟

امرؤ القيس : إنى لى أكن أعلم أن العبد الأسود الذى فى رحلى هو المهلهل ؟

الحارث : كيف اطلع إذن على سرك إن لم يكن متواطئا معك ؟

امرؤ القيس : أى سر تعنى ؟

الحارث : استعدادك هذا لتقديم نفسك .

امرؤ القيس : هذا ليس سر . لقد أعلنته للملأ من قومى .

الحارث : وهو أيضا أعلن لقومه أنه سيقتلنى .

امرؤ القيس : وما شأنى أنا بما أعلن ؟

الحارث : هذا برهان التواطؤ بينكما .

امرؤ القيس : عجبا ! أوَقد استطاع زير النساء أن يقلب لك الأمور إلى هذا الحد ؟ أسماء ماذا دهى خالك ؟

أسماء : لا أدرى يا أبت لعل المهلهل قد سحره .

امرؤ القيس : ما كنت أعلم أنه يسحر الرجال أيضا كما يسحر النساء .

الحارث : والآن وقد أخفق صاحبك فى اغتيالى ، أما زلت أنت على عرضك الذى عرضت ؟

أم الأغر : لا جرم أنه يتنصل الآن من ذلك .

امرؤ القيس : كلا .. أنا باق على ذلك .

أم الأغر : لتقتل ببجير ؟

امرؤ القيس : بل لأبوء ببجير فيتم الصلح بين بكر وتغلب .

أسماء : كلا يا أبى لا تفعل . إنك اعتزلت هذه الحرب ، فلا ينبغى أن تؤخذ بجريرة غيرك .

امرؤ القيس : يا بنيتى إنى لن أوخذ بجريرة أحد ، وإنما سأفدى عشيرتى وقومى وأنقذهم من بلاء عظيم .

أسماء : إن الذى قتل بجيرا هو الذى ينبغى أن يقتل ببجير .

امرؤ القيس : لقد كان فى أيديهم فأطلقوه .

أسماء : اطّردوا فى أثره حتى تمسكوه .

امرؤ القيس : أخشى أن تفنى العشيرة كلها قبل أن تمسكه .

أسماء : التبعة إذن على غيرك .

امرؤ القيس : التبعة يا أسماء على من يشعر بالتبعة .

أسماء : لا تقبل عرضه يا خال فإنه لا يدرك ما يأتى وما يدع .

الحارث : لا تراعى يا أسماء . إنه لا يعنى ما يقول . إنما هى حيلة من أبيك ليجعلنى أقبل الصلح .

امرؤ القيس : كلا يا حارث بل أعنى ما أقول .

أسماء : أسمعت يا خالى . والله إن قتلت أبى لا يصفو لك قلبى أبدا .

أم الأغر : كأنك تريدين أن يذهب دم بجير هدرا ؟

أسماء : كلا ولكن لا ينبغى أن يكون أبى هو الضحية .

الحارث : هو الذى اختار ذلك ليضمن لقومه الصلح .

أسماء : كلا لا تقتل أبى ولا تقبل الصلح .

امرؤ القيس : يا بنيتى إن لم أمت اليوم فسأموت بعد عام أو عامين أو ثلاثة ، فليكن موتى حياة لعشيرتنا وقومنا من بكر وتغلب .

الحارث : (**لرجاله**) خذوه يا قوم فاقتلوه ببجير .

أسماء : (**تصيح**) كلا يا خال لا تفعل . أنشدك بذكرى أمى ومكانها عندك إلا ما تركت لى أبى .

أم الأغر : وبجير يا هذه أوَقد نسيت ذكرى بجير .؟

أسماء : ذكرى بجير فى قلبى ولكنى لا أستطيع أن أحتمل فقده وفقد أبى معا .

أم الأغر : كأنك تستطيعين أن تحتملى فقد بجير وحده .

أسماء : (**تثور**) بجير . بجير . هل أنا التى قتلته .؟ أليس أخوك هو الذى قتله ؟ أتريدين أن تبرئى أخاك وتلقى تبعته على أبى ثم علىّ ؟

أم الأغر : سرعان ما نسيته يا خائنة ، وكنت تزعمين أنك لن تنسيه أبدا .

أسماء : أجل قد نسيته . نسيته قبل أن يجف دمه على سيف أخيك . ماذا تريدين منى بعد ؟

أم الأغر : لكنا نحن لن ننساه ، ولن يقر لنا قرار حتى نثأر من قتلته .

أسماء : ما له غير قاتل واحد هو أخوك .

أم الأغر : ما كان المهلهل ليقتله لو لم يحرضه أبوك .

الحارث : (**لرجاله**) ماذا تنتظرون ؟ سوقوه إلى حيث أمرتكم .

امرؤ القيس : (**يسوقه رجاله**) لا تجزعى يا أسماء واذكرى أن أباك قد فدى قومه من بلاء كبير (**يخرج معهم**) .

(تدخل جليلة وجساس مرتاعين)

أسماء : خالى ! مُرهم ألا يقتلوه .

الحارث : إنه هو الذى اختار هذا السبيل .

أسماء : امنعه من ذلك .

الحارث : لا أستطيع .

أسماء : بل لا تريد . إن هذه التغلبية الحقود قد غلبتك على أمرك فجاريتها فى حقدها العتيد . والله لأقاتلنهم دونه .

(تخرج مسرعة)

أم الأغر : ألا تكفون هذه الفتاة ؟

الحارث : لن تدركهم إلا وقد قتلوه .

جليلة : هلا أجبتها إلى ما سألت فهى ابنة أختك ؟

أم الأغر : اسكتى أنت يا جليلة لا شأن لك ، إنهم قتلوا ابنى ولم يقتلوا ابنك .

جليلة : فهلا قتلتم المهلهل إذ وقع فى أيديكم ؟

الحارث : خدعنى فاسقا مرة لنفسه منى قبل أن أعرف حقيقته .

جليلة : أتخلون عن ذلك السفاح وتأخذون هذا الرجل المسالم الذى اعتزل قومه فلم يشترك معهم فى حربكم ؟

الحارث : هو الذى اختار ذلك . أشفق على قومه أن نستأصلهم فأراد أن يفديهم بنفسه (**يدخل هجرس**) .

هجرس : (**فى لهفة**) أحقا ما بلغنى يا عم ؟

الحارث : هل أوصلته إلى مأمنه ؟

هجرس : نعم .

الحارث : أتعرف أين توجه ؟

هجرس : ناحية اليمن .

أسماء : (**تنوح من بعيد**) واأبتاه ! واسيداه !

أم الأغر : هذا صوتها . لقد قضى الأمر .

جليلة : يا ويح أسماء . بالأمس تفجع فى حبيبها واليوم فى أبيها .

أسماء : (**صوتها يقترب**) واأبتاه ! واسيداه ! والله لأنتقمن لك . (**تدخل شاهرة سيفها وخلفها بعض رجال أبيها**

فى الوفد) .

أم الأغر : يا قوم اقبضوا على هذه المجنونة .

أسماء : والله لأروين سيفى بدمك يا عجوز السوء .

الحارث : (**يحول بينها وبين أم الأغر**) يا أسماء هونى عليك فإن أباك قد قام بعمل عظيم .

أسماء : (**تحاول التملص من قبضته**) دعنى دعنى . لأقتلنك أنت أيضا .

الحارث : أنا خالك يا أسماء . أنسيت أننى خالك ؟

أسماء : كلا لست بخال . لست منك ولست منى . وما أنت اليوم إلا قاتل أبى .

الحارث : كأنك لا تريدين الصلح أن يتم بين بكر وتغلب .

أسماء : كلا لا صلح بيننا أبدا . لأنضمن إلى تغلب ولأحضنها على قتالكم حتى تأخذ بثاراتها منكم .

الحارث : لكنك كنت تقاتلين معنا يا أسماء .

أسماء : لقد كان ضلالا منى أى ضلال أن أقاتل قومى مع أعدائى . أنا تغلبية وعلى سيفى أن يكون لتغلب .

الحارث : إن بنى تغلب يطلبون الصلح .

رجال الوفد : أجل يا أسماء . هذا ما كان يرجوه أبوك .

أسماء : لقد قتلوا أبى فلم يبق له وجود . وعار علينا بنى تغلب ألا نقاتل أعداءنا حتى نبيدهم أو نبيد (**للحارث**) خل عنى . لا تخف لن أتصدى لك إلا فى ميدان القتال .

(يرسلها الحارث)

الوفد : يا حارث بن عباد لقد حق عليك الآن أن تعلق الصلح .

الحارث : ألا ترون إلى هذه كيف تعارض ؟

الوفد : لا شأن لها بذلك .

أسماء : ويلكم لا شأن لى بأبى ؟

الوفد : لا شأن لك بما تم بينه وبين الحارث بن عباد .

أسماء : ويحكم ألم يكن أبى سيدا فيكم ؟

الوفد : بلى .

أسماء : ألم يثبت لكم اليوم أنه ما اعتزل الحرب جبنا أو خورا بل حرصا على دماء العشيرة أن تسيل على سيوف العشيرة ؟

الوفد : بلى .

أسماء : أفترضون لسيد كبير مثله أن يقتل بفتى من بنى بكر لا مجد له غير مجد أبيه ؟

أم الأغر : ويلك أتقولين هذا عن بجير ؟

أسماء : نعم .

الوفد : هو ارتضى لنفسه ذلك يا أسماء .

أسماء : إنما ارتضى ذلك من أجلنا نحن بنى تغلب ، فعلينا ألا نرضى له بذلك أبدا .

الوفد : ليذهبن دم أبيك هدرا إن أبينا أن يبوء ببجير .

أسماء : كلا لن يذهب دمه هدرا . ليبوءن بألوف من بجير وعشرات من سادات قوم بجير .

أم الأغر : أسمعت يا حارث ما تقول ؟ أسمعتم يا بنى بكر ؟

أسماء : ويلك أتريدين أن تجعلى امرأ القيس بن إبان فى منزلة ابنك الذى باء بشسع نعل كليب ؟

أم الأغر : (ثائرة) أسمعت يا أبا بجير ؟ فراشى عليك حرام إن جعلت أباها يبوء إلا بشسع نعل بجير .

الحارث : فليبؤ امرؤ القيس بن إبان بشسع نعل بجير .

أم الأغر : بوركت لقد شفيت إذن غليلى .

الوفد : أنقضت عهدك يا ابن عباد ؟

الحارث : نعم ولا كرامة .

جليلة : ما هذا يا حارث بن عباد ؟ أين إذن حلمك وحصافتك ؟

الحارث : ويلك يا جليلة ، ألم تسمعى ما قالت ؟

جليلة : فتاة غريرة أطاش صوابها مصرع أبيها . أفيليق بك أن تجاريها فى هذا المضمار ؟

أسماء : دعيه يا جليلة يقل ما يشاء ، فإنه ليعلم وإن الجميع ليعلمون أن أبى أكرم من ذلك .

أم الأغر : اسكتى يا بنت شسع النعل .

أسماء : بل أنت والله أم شسع النعل . لقد دمغك بها أخوك من قبل ودمغك بها زوجك اليوم .

الحارث : ماذا تعنين ويلك ؟

أسماء : ما زدت اليوم على أن سويت بين ابنك وشسع نعله

(**لرجال الوفد**) هلم يا بنى قومى أعينونى على جثمان أبى لنحمله إلى بنى تغلب (**تخرج ويخرجون خلفها**) .

أم الأغر : إلى حيث ألقت .

جليلة : على رسلك يا أم الأغر . أجبنى يا حارث بن عباد ألم تطلق سراح المهلهل وفاء بعهدك له ؟

الحارث : بلى .

جليلة : فكيف تفى بعهدك للمهلهل وهو خوان لئيم ، ولا تفى بعهدك لامرئ القيس بن إبان وهو سيد كريم ؟

أم الأغر : عجبا لك يا جليلة ! ألا يسعك أن تسكتى وقد كنت أنت وزوجك وأخوك السبب فى كل هذه المحنة ؟

جليلة : (**معرضة عنها**) أجب على سؤالى يا ابن عباد .

الحارث : ألم ترى إلى ابنته كيف ذهبت لتحرضهم على قتالنا ؟ .

جليلة : لو أعلنت الصلح وفاء بعهدك لأبيها ، فلن تجد لها فى تغلب من سميع .

الحارث : كلا لا صلح بيننا وبينهم حتى يأتونى برأس المهلهل .

هجرس : أنا آتيك برأس المهلهل .

الحارث : أنت ؟

هجرس : نعم على أن تفى لهم بالصلح بعد ذلك .

الحارث : كلا . أريد منهم أن يأتونى برأسه .

هجرس : إنه ليس مقيما فيهم ولا يدرون أين يكون فلا يقدرون عليه .

الحارث : فليبحثوا عنه حتى يجدوه ويظفروا به .

جليلة : أنت إذن لا تريد رأس المهلهل ولا تريد السلام

الحارث : بلى يا جليلة ولكن لا سلام بغير رأس المهلهل .

هجرس : فدعنى آتيك برأسه .

الحارث : أنت لست من بنى تغلب .

هجرس : الأمر يسير . هبنى من بنى تغلب فقد كانت أمى زوج كليب ، فلو لم يقتل عنها لكنت اليوم ابن كليب .

جساس : لكنك ابن المزدلف يا هجرس .

هجرس : لقد قتل المزدلف أيضا فلم يبق بينه وبين كليب فرق . لحِقَ القاتل بالمقتول .

(يضطرب جساس وجليلة)

الحارث : صدقت يا هجرس وقديما قلت فى هذا الصدد .

لم أكن من جناتها علم الـ ـله وإنى بحرها اليوم صال

هجرس : لا والفرس التى تحملنى والسيف الذى أحمله ، لا يقتل امرؤ القيس بن إبان ويعيش المهلهل فى أمان . لآتينك برأسه أذنت أو لم تأذن . لآتينك برأسه من أجل بكر ومن أجل تغلب .

(يتهيأ للخروج)

جساس : خذ حذرك منه يا بنى فإنه غدور .

جليلة : ولا تصدقه فى شىء فإنه كذوب .

أم الأغر : ائذن له يا حارث ليأتيك برأس قاتل بجير .

الحارث : (**مناديا بعد خروج هجرس**) قد أذنت لك يا هجرس .

هجرس : (**صوته**) هيهات . ما بقيت فى حاجة إلى إذن أحد .

(**ستار**)

الفصل الثالث

فى نواحى تهامة من بلاد اليمن . غيضة ملتفة الشجر تقع فى وسطها حانة صغيرة يديرها شيخ كبير .

الوقت : عند الأصيل .

(يرفع الستار عن هجرس جالسا على مقعد فى فناء الحانة وأمامه الشيخ صاحب الحانة يقدم له كأسا من الخمر وشيئا من النقل) .

هجرس : يا شيخ أنا ما طلبت منك شيئا .

الشيخ : دون أن تطلب . أنت قريب المهلهل ، وللمهلهل عندنا مكانة كبيرة .

هجرس : ظننته قد سبقنى إلى هنا ، فأين ذهب ؟

الشيخ : (**يضحك**) أين ذهب ؟ منذا يستطيع أن يدرى ؟

هجرس : أليس يجىء كل عشية إلى حانتك ؟

الشيخ : كل عشية ؟ لا . حينا فى العشى وحينا فى الصباح وحينا يوقظنى من آخر الليل .

هجرس : هو ورفاقه ؟

الشيخ : حينا هو ورفاقه وحينا وحده . أليس هو عمك ؟

هجرس : (**لا يجيب**) .

الشيخ : لا تخف . أنت هنا فى أمان . ليس فى جهتنا هذه أحد من بنى بكر . ألست أنت ابن أخيه ؟

هجرس : بلى .

الشيخ : افعل مثل عمك . أقم عندنا خيرا لك . بعيدا عن حرب البسوس وسوف أزوجك ابنتى إن شئت . فتاة مليحة . أتحب أن تراها .؟

هجرس : شكرا لك . ما لهذا جئت .

الشيخ : فلأى شىء جئت ؟

هجرس : لأعود بعمى إلى الحى .

الشيخ : دعه هنا فى أمان . أتريد أن تقتله هناك ؟ لقد زوج ابنته لرجل عندنا من بنى جنب .

هجرس : أجل أنا أنزل ضيفا عنده .

الشيخ : مليح . إذا تزوجت ابنتى أنزلتك عندى .

هجرس : لِم لا تزوجها له ؟

الشيخ : بلى . لعمك ؟

هجرس : نعم .

الشيخ : كلا .. لا أرضاه لها .

هجرس : لماذا ؟

الشيخ : سكير لا يكاد يفيق . وزير نساء لا يصبر على واحدة . (**يضحكان**) اشرب .. اشرب . فكر فيما قلت لك

(يتراجع إلى الحانة)

هجرس : (يتحسى الشراب) متى يجيء ؟ ما أشق الانتظار ! لعله لا يجيء إلا آخر الليل أو لا يجيء ألبتة . يا ليتنى بادرته بالسيف من أول يوم . إذن لفرغت منه ولما وقعت فى هذه الحيرة وهذا التردد . أى رجل حوّل قلّب ساحر الحديث هو . لقد كنت ممتلئا حقدا وحنقا عليه فما زال يلاطفنى ويداورنى حتى جعلنى أميل إليه وأعطف عليه . وسلمى ابنته . كيف قبلت أن أراها ثم أنزل فى بيت زوجها ضيفا ؟ ماذا تقول عنى إذا فجعتها فى أبيها الشريد وهى تحسبنى ابن عمها كليب ؟ وماذا يقول زوجها وقد أحسن ضيافتى وأكرم مثواى ؟ ما كان أغنانى عن هذه الصلات . إذن لكانت مهمتى أيسر مما هى الآن . كان ينبغى أن أشحذ قلبى لا أن أزيده كلالا على كلال . لا ريب أن قوة خفية فوق طاقتى وطاقة البشر كانت تدفعنى إلى أن أتلكأ وأتلبث وتغرينى بأن أرى كيف تلوح ابنته ، لعلى أجد فى وجهها جوابا على سؤالى القديم الذى لم أجد له من جواب . أيتها النفس كفى خداعا لى . إنك تخافين أن أقتل هذا الرجل ثم يتبين أننى ابن كليب أخيه . ويحك أبعد ما ركبت الأخطار وطويت الفيافى والقفار . وقطعت الشهور الطوال حتى اهتديت إلى مقره فى هذه البقعة النائية من تهامة

اليمن ، أعود إلى الحارث بن عباد صفر اليدين .؟ فيم الخوف وعلام التردد ؟ إن أكن من بكر فقد قتلت عدوا لقومى طالما أوقع بهم وأثخن فيهم ، وإن أكن من تغلب فقد أنقذت قومى من حرب خاسرة وقتلت رجلا واحدا منهم لأحيى الباقين . (**يجرع ما بقى فى الكأس**) .

(يدخل ذكوان متسللا دون أن يراه الشيخ)

ذكوان : هجرس .

هجرس : (**يتلفت إليه**) ذكوان .

ذكوان : صه . لا ترفع صوتك .

هجرس : ما خطبك ؟ أين عمى ؟

ذكوان : أوَقد صدقت أنه عمك ؟ إنه إنما زعم لك ذلك لتتحرج من قتله . وسيأتيك اليوم بفرية جديدة سيزعم لك أن الحارث بن عباد قد أعلن الصلح بين بكر وتغلب .

هجرس : الصلح ؟

ذكوان : وأنه هو سيرافقك إلى الحى ليفد معك على الحارث بن عباد .

هجرس : هذا كلام غير معقول .

ذكوان : حذار أن تصدقه فإنه يريد أن يغدر بك فى الطريق فيتخلص منك . لقد حاولت أن أثنيه عن ذلك لأنى أحبك فأنت على صورة سيدى كليب ، ولكنه غضب منى وأهاننى ففررت من وجهه وتركته . هأنذا قد

أنذرتك فلا يخدعنك . (**يخرج مسرعا**) .

الشيخ : (**يلمحه خارجا**) ذكوان . ذكوان . أين سيدك ؟ عجبا لم يشأ أن يرد عليّ ترى ما خطبه . هل تحدث إليك يا هجرس ؟ ماذا قال لك ؟

هجرس : لا شيء . سألته عن عمي فقال إنه لا يعرف أين هو .

(**يسمع وقع حوافر جياد مقبلة**)

الشيخ : ها هو ذا عمنا قد أقبل هو ورفاقه .

هجرس : (**متمتما لنفسه**) لحاهم الله . ليته جاء وحده .

المهلهل : (**يدخل هو ورفاقه**) يا أبا زيتونة . ألم تر العبد ذكوان اليوم ؟

الشيخ : كان هنا منذ قليل .

المهلهل : منذ قليل .؟

الشيخ : منذ لحظة رأيته منصرفا فناديته فلم يجبني .

المهلهل : انطلقوا يا رفاق . تفرقوا فى كل جهة . لا يفلتنكم العبد .

الرجال : أنقتله ؟

المهلهل : كلا لا تقتلوه . ائتونى به حيا . إنى أريد أن أعرف سره .

(**يخرج الرجال مسرعين ثم يسمع وقع حوافر جيادهم منطلقة**) .

هجرس : (**يضع يده على مقبض سيفه**) أضربه الآن قبل أن يعود رفاقه وقبل أن يلين قلبك لحديثه .

المهلهل : (**ينقض عليه فيحتضنه**) هجرس . ابن أخى الحبيب ابن الحبيب .
(**يقبل ما بين عينيه ثم ينظر إليه**) كليب ورب البيت. نسائى طوالق والله إن لم تكن من صلب كليب . يا أبا زيتونة .

الشيخ : نعم .

المهلهل : ألم تقدم لابن أخى شيئا ؟

الشيخ : بلى يا أبا سلمى قد فعلت .

المهلهل : أحسنت . هات أيضا زدنا مما عندك .

الشيخ : حالا حالا .

المهلهل : اجلس يا هجرس . ضع هذا السيف جانبا فلن تحتاج إليه بعد اليوم . فيم هذا السكوت ؟ تكلم .

هجرس : (**بصوت خافض**) إنك تعلم ما أريد .

المهلهل : (**بصوت خافض**) المبارزة ؟

هجرس : نعم .

المهلهل : (**يرفع صوته**) لا تعجل فتندم . دعنا أولا نشرب ماء الحياة من يدى أبى زيتونة (**يخفض صوته**) ثم نتجاذب كأس الموت بعد ذلك إن شئت .

هجرس : (**همسا**) أراك تداورنى منذ ثلاثة أيام .

المهلهل : (**همسا**) وما ثلاثة أيام لمن يوشك أن يخرج من نور الحياة إلى ظلام الموت ؟

هجرس : إن عليّ مهمة يجب أن أؤديها .

المهلهل : صه . لا يسمعك الشيخ (**ينادى**) يا أبا زيتونة .

الشيخ : لبيك .

المهلهل : هل سمعت بكليب وائل .؟

الشيخ : نعم .. أى عربى لم يسمع به . أعز من كليب وائل . هكذا سار المثل .

المهلهل : هل رأيته قط ؟

الشيخ : لا .

المهلهل : فقد رأيته اليوم فى وجه هذا الفتى . إنه صورة منه .

الشيخ : (**يقبل بالشراب**) أحقا ؟ إنى إذن لصادق الفِراسة ، حسن التوسم . لقد عرضت عليه آنفا أن أزوجه ابنتى .

المهلهل : (**فى شىء من الغضب**) كلا يا أبا زيتونة . زوجها ويلك لمن على شاكلتك .

الشيخ : إنك زوجت ابنتك يا أبا سلمى لرجل منا من بنى جنب .

المهلهل : مكرها يا أبا زيتونة . خشيت عليها المعرة والمذلة بعدى فى هذه الديار.لعنة الله على الحرب العقيم . لولاها لزفت سلمى إلى أحد أكفائها من بنى الأرقم .

اعـزز على تغـلب بما لقــيت
أخت بنى الأكرمين من جشم
أنكحهـا فقدهـا الأرقــم فى
جنب وكان الخبـــاء من أدم

لو بأبـــــانين جاء يخطبها

خضب ما أنـف خاطب بدم

(**وجعل يكرر قوله**) خضب ما أنف خاطب بدم .

الشيخ : خفض عليك يا أبا سلمى فلست فى أبانين بل فى تهامة اليمن .

المهلهل : لا عليك يا أبا زيتونة . ماذا أعددت لسمرنا الليلة ؟

الشيخ : ما كنت أعلم أنكم ستسمرون عندنا ، فماذا تريدون ؟

المهلهل : نريد شواء كثيرا وطعاما وفيرا ونقلا وفاكهة .

الشيخ : ما عندى اليوم غير الخمر .

المهلهل : خذ هذا الدينار فابتع لنا ما يصلح .

(يأخذ الشيخ الدينار فيخرج)

المهلهل : هأنذا قد صرفت الشيخ فصارحنى يا ابن أخى بما تريد .

هجرس : أريد أن تبارزنى فهلم سيفك .

المهلهل : تريد أن تحمل رأسى إلى الحارث بن عباد ؟

هجرس : أجل .

المهلهل : لكى يرضى أن يعلن الصلح بين بكر وتغلب ؟

هجرس : أجل .

المهلهل : فقد كفيت اليوم ذلك يا بنى . إن الحارث قد أعلن ذلك الصلح منذ شهور .

هجرس : من أين عرفت ؟

المهلهل : من عيونى ورجالى الذين يأتوننى بالأخبار .

هجرس : لا ريب عندى أنهم كذبوك .

المهلهل : إن رجالى لا يكذبوننى أبدا .

هجرس : محال أن يقبل الحارث الصلح قبل أن يظفر برأسك .

المهلهل : لعله غير رأيه فى آخر الأمر وهو رجل كريم حليم .

هجرس : حتى لو صح هذا فإنى قد تعهدت له بأن آتيه برأسك .

المهلهل : فلتأته بجسمى كله فذلك أيسر عليك .

هجرس : كيف ؟

المهلهل : أرافقك فى الطريق حتى نقدم معا عليه ، فإن شاء أن يقطع رأسى فعل وإن شاء أن يعفو عنى فعل .

هجرس : بل تريد أن تغدر بى وتتخلص منى فى الطريق .

المهلهل : أنا أغدر بك ؟

هجرس : لقد غدرت بمن هو أكبر منى وأعظم .

المهلهل : تعنى الحارث بن عباد ؟

هجرس : وامرأ القيس بن إبان وكثيرا غيرهما . إنك رجل غدور .

المهلهل : إلا كليبا أخى فمحال أن أغدر بكليب .

هجرس : لكننى لست بكليب .

المهلهل : أنت صورة منه .

هجرس : دعنى من مقسيماتك . هذه بعض أساليبك فى المكر والخديعة .

المهلهل : أقسم بالله إنى لصادق معك .

هجرس : أنت فاجر لا يمين لك .

المهلهل : أواه . كيف بالله أجعلك تصدقنى ؟ أما من سبيل ؟ اقترح عليّ ما تشاء .

هجرس : لا سبيل غير المبارزة .

المهلهل : فلنرجئها إلى الغد . ولتشهد معنا الليلة هذا السمر الممتع البهيج .

هجرس : كلا .

المهلهل : دعنا الليلة نشرب ونطرب مع هؤلاء الندمان ، وغدا يكون ما يكون .

هجرس : كلا .

المهلهل : وسنمضى آخر الليل إلى حيث تلهو مع الغيد الحسان .

هجرس : كلا .

المهلهل : (**يقلده فى كلامه**) كلا . كلا . كلا . ويحى إنك تقولها كما كان يقولها كليب أخى . سبحان الله إنك مثله لا تحب اللهو ولا القصف .

هجرس : لا تحاول أن تخدعنى فلست ابن كليب . أنا ابن عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان .

المهلهل : ألم يقل لك أحد غيرى إنك صورة من كليب .

هجرس : ولكنى سألت القافة فكلهم قال إن الشبه لا يثبت نسبا ولا ينفيه .

المهلهل : لو أنهم رأوك مع كليب لأجمعوا أنه أبوك .

هجرس : كلا .

المهلهل : يا ابن أخي لقد كنت أظن حين رأيتك أول مرة أن هذا الشبه يرجع إلى أن أمك لم تستطع أن تنسى وجه كليب ليلة حملت بك ، ولكنى أيقنت اليوم أنك الجنين الذى فى بطنها يوم تركتنا ولحقت بأهلها .

هجرس : كلا . ذلك الجنين قد أسقطته وأنا ابن المزدلف .

المهلهل : أجل قد زعموا لنا ذلك ولكنى ما إخالهم إلا كاذبين .

هجرس : ماذا يحملهم على ذلك ؟

المهلهل : ألا تدرى ماذا يحملهم على ذلك ؟ لقد خشوا أن تشب فتأخذ بثأر أبيك من خالك .

هجرس : كذبت . إنك تريد أن توغر صدرى على خالى جساس ، ولكنى لن أنيلك ما تريد .

المهلهل : صدقنى يا هجرس . إنى أجد ريح كليب فيك .

هجرس : (**يظهر الغضب**) دعنى الآن من كليب وهلم فلنتبارز .

المهلهل : يا بنى اتئد فالموت لا يستحق أن يعجل إليه .

هجرس : إنك تخشى الموت . إنك جبان .

المهلهل : أجل يا ابن أخى إنى لجبان . إن الحياة لذيذة وكل ما فيها لذيذ . معاقرة المدام ومنادمة الكرام واللهو مع الآرام . . وإنها لقصيرة الأجل وإن الموت ليترصدها فعلام نسلوها ونتعجله .؟

هجرس : الآن أدركت كيف انهزمت تغلب .

المهلهل : لا غرو أن تأسف لهزيمتها فأنت ابن كليب .

هجرس : كلا . كلا .

المهلهل : (**يقلده فى نطقه**) كلا . كلا .

هجرس : لا تضع وقتى . جرد سيفك وبارزنى وإلا ابتدرتك بالسيف .

المهلهل : يا ابن أخى إنك لا تقدر علىّ .

هجرس : بل تخاف منى .

المهلهل : أجل أنا اليوم خائر النفس خائر البدن فأخاف أن تخوننى يدى فأجرحك .

هجرس : بل اقتلنى إن استطعت .

المهلهل : هلم إذن . (**يجرد سيفه**) .

هجرس : هلم .

(يتصاولان هنيهة ويحمى الوطيس بينهما وإذا المهلهل يتمكن من ضرب يد هجرس بظهر السيف فيسقط سيفه من يده ، ويحاول هجرس أن يلتقطه من الأرض فيسبقه المهلهل إليه) .

المهلهل : كيف رأيت ؟ ألم أقل لك ؟

هجرس : هب لى هذه المرة وأعطنى سيفى .

المهلهل : وماذا يحملنى على ذلك ؟ من حقى الآن أن أقتلك .

هجرس : اقتلنى إذن .

المهلهل : لا أستطيع .

هجرس : ماذا يمنعك ؟

المهلهل : إنك لا تعرف مكان كليب عندى .

هجرس : كليب . كليب . هل لك أن تحدثنى ما مكانه عندك .

المهلهل : حبا وكرامة يا بنى . كان كليب أخى وأبى وكان ربى وسيدى وكان سمعى وبصرى وكان همى وفرحى . كان كل شيء لى . كان الكأس التى أشرب والحسناء التى أعشق والحُلة التى أرتدى والجواد الذى أركب .

هجرس : كيف ؟

المهلهل : كان يكفينى كل شيء ولا يكلفنى بشيء .

هجرس : هل كان يعاقرك الشراب ويشاركك اللذة واللهو ؟

المهلهل : كلا . كان أشد وأحزم على نفسه من ذلك ، ولكنه كان يسر لسرورى ويأسى لأساى ، فكنت أشرب وكأنه هو الذى يشرب ، وألهو وأطرب وكأنه هو الذى يلهو ويطرب .

هجرس : **(متجلدا يحاول أن يطرد الرقة التى سرت فى قلبه)** إذن فقد بالغ فى تدليلك حتى أفسدك .

المهلهل : **(كاظما غيظه)** آه لو غيرك قالها .

هجرس : أتغضب من كلمة الحق ؟

المهلهل : آه لو لم تكن على صورته ؟

هجرس : ماذا كنت تصنع بى ؟

المهلهل : كنت قطعتك عضوا عضوا ثم مزقتك شلوا شلوا .

هجرس : حبا لكليب .؟

المهلهل : بل غضبا له .

هجرس : فهلا غضبت لقوم كليب بعده ؟

المهلهل : ويلك ؟ هل غضب أحد لقومه قط ما غضبت لتغلب ؟

هجرس : ما زدت على أن أغريت بهم قبائل بكر ، فلما أوقعت بهم وأثخنت فيهم تركتهم يصلونها وحدهم ونجوت بنفسك .

المهلهل : تغلبى الهوى ورب الكعبة .

هجرس : كلا . أنا بكرى الهوى والدم . أبى عمرو بن الحارث وأمى جليلة وخالى جساس الذى أنقذ قومه من ظلم كليب الطاغية .

المهلهل : (**يستشيط غضبا**) ويلك يا ابن جليلة .

هجرس : أعطنى سيفى يا ابن مرادة .

المهلهل : (**يرمى له سيفه**) لا يد مما ليس منه بد .

(**يتصاولان هنيهة**)

المهلهل : (**يتوقف فجأة عن القتال**) وى ! غفرانك يا كليب .

(**محدقا فى هجرس**)

هجرس : (**ينشب السيف فى صدره**) أتريد أن تخدعنى بعد ؟

المهلهل : (**يتهاوى على الأرض**) ظننت يا بنى أننى أصبتك .

(**يحمل عمامته من رأسه فيسد بها الجرح الذى فى صدره**) . حمدا لله إذ أنت سليم . لقد كنت أريد أن أقتل

نفسي منذ بلغني نبأ الصلح بين بكر وتغلب ، ولكنى كنت مترددا وكان حب الحياة يغلبنى على أمرى فهأنتذا قد أرحتني الآن (**يقف هجرس مشدوها ثم يهم بالفرار**) كلا لا تتركنى يا هجرس . ابق عندى حتى أموت . ويحك يا بنى إنك نسيت أن تقطع رأسى لتحمله إلى الحارث بن عباد .

هجرس : (**فى شبه ذهول**) أجل . (**يقترب منه شاهرا سيفه**) .

المهلهل : كلا يا بنى ليس الآن . انتظر حتى يعود رفاقى .

هجرس : ليتعاورونى بسيوفهم ؟

المهلهل : كلا . بل ليعينوك . إنك إن هربت الآن انطلقوا خلفك فأدركوك ، ولكن ابق معى وسأزعم لهم أننى قتلت نفسى فلا يصيبك منهم سوء .

هجرس : إنهم لن يصدقوك .

المهلهل : بلى إنهم يعلمون بيأسى من الحياة ورغبتى فى الانتحار . انطلق يا هجرس فائتنى بشربة ماء فإن العطش يكاد يحرق كبدى .

هجرس : (**مترددا كأنه يشك فى حسن نية المهلهل**) ...؟

المهلهل : ويحك لا تكن مثل خالك جساس إذ منع أباك شربة الماء وهو يموت (**ينطلق هجرس ويأتيه بقدح من الماء فيسقيه**) بوركت يا هجرس . يا ويح كليب لم يجد حتى من يسقيه الماء وهو يموت . هلم الآن ساعدنى فى كتم هذا الجرح حتى لا تسيل نفسى قبل مجىء الرفاق (**يساعده هجرس فيها أولا**) أحسنت يا ابن أخى . إذا رأوك

هكذا لم يساورهم أى شك فى صدق روايتنا لهم . أنا طعنت نفسي وجئت أنت لتسعفنى .

هجرس : (**يبكى**) وا أسفاه عليك .

المهلهل : أتبكى ويحك يا بنى ؟ هذه أول مرة أرى فيها كليب أخى يبكى . صه . ها هم أولاء قد عادوا .

(يدخل ثلاثة من الرفاق ويدخل خلفهم أبو زيتونة)

الرفاق : وى . ما هذا ؟ من فعل به هذا ؟ جريح . أبو سلمى جريح . ما خطبك يا أبا سلمى ؟ منذا أصابك ؟

المهلهل : لا أحد أصابنى يا قومى . أنا قتلت نفسى .

الرفاق : ويلك ما حملت على ذلك ؟ لقد وعدتنا ألا تأتى هذا الأمر.

المهلهل : حاولت يا رفاق فلم أقدر .

الرفاق : ما كان لك يا أبا سلمى أن تفجعنا فيك .

المهلهل : تلكم جريرتى يا رفاق . كان ينبغى لى أن أموت فى ميدان القتال إذاً لظفرت بمجد الدهر ، ولكنى تركت قومى ونجوت بنفسى لعلى أستمتع بعد بالحياة . فهأنذا قد فقدت المجد والحياة معا .

أحدهم : ما كان ينبغى لنا أن نتركك وحدك .

ثانيهم : ابن أخيه كان عنده فكيف لم يمنعه ؟

المهلهل : حاول أن يمنعنى ولكنى سبقته . استمعوا إلىّ يا رفاق . إذا أنا مت فاقطعوا رأسى ليحمله ابن أخى هذا معه إلى الحى فيدفنه بجوار رأس كليب . ما بالكم تنظرون هكذا

إلىّ ؟ تلك أمنيتى أفلا تحققونها لى ؟

الرفاق : بل ستعيش لنا يا أبا سلمى ، وستشرب معنا كثيرا ونطرب .

المهلهل : هيهات . إنها الكأس التى ليس بعدها كأس . خبرونى ماذا فعل ذكوان .

الرفاق : لم نعثر له على أثر . كأنما ابتلعته الأرض .

المهلهل : وأين بقية الإخوة ؟

الرفاق : لعلهم ما زالوا يبحثون عنه .

المهلهل : وا حسرتاه . سأموت دون أن أعرف سره . إن قبضتم عليه فسلموه إلى ابن أخى ليسوقه معه إلى الحارث بن عباد .

الرفاق : لعلهم يعثرون عليه فيأتوك به .

المهلهل : دعونى من العبد . أين أبو زيتونة ؟

الشيخ : نعم يا أبا سلمى . لا بأس عليك .

المهلهل : هل هيأت للسمر الليلة .

الشيخ : نعم يا أبا سلمى كما أمرت .

الرفاق : وأنت على هذه الحال ؟ كلا لا سمر الليلة .

المهلهل : ناشدتكم بالله أن تسمروا كأنى معكم ، فإن ذلك يؤنس لى وحشة الموت . ثم اذكرونى بعد ذلك فى كل مجلس أو سمر .

الرفاق : لن يصفو لنا مجلس بعدك يا أبا سلمى ولن يطيب سمر

المهلهل : هجرس .. أصغ إلىّ يا ابن أخى .

هجرس : نعم يا عم .

المهلهل : إياك أن يمنعك شىء من حمل رأسى معك إلى الحى لتدفنه بجوار رأس أبيك .

هجرس : أمرك يا عم .

المهلهل : (**يخرج من بين ثيابه رقعة**) وهذا كتاب خطير من نشوان إلى ذكوان . خذه معك وسلمه للحارث بن عباد .

هجرس : (**يأخذ الكتاب معه**) سأفعل يا عم .

المهلهل : أبا زيتونة . اسقنى يا أبا زيتونة . واسق الرفاق .

الشيخ : حالا يا أبا سلمى حالا .

المهلهل : ولا تنس يا هجرس . أن تودع سلمى قبل رحيلك وتسأل عن أخبارها بعد ذلك ، فإنى قد أنزلتها فى أرض غريبة .

هجرس : سأفعل يا عم .

(**يحضر أبو زيتونة أقداح الشراب فيأخذ كل منهم قدحه**) .

المهلهل : فى صحتكم يا رفاق .

(**يرفع القدح إلى فمه فيسقط القدح من يده ويموت**)

الجميع : (**والأقداح فى أيديهم**) أبا سلمى . يا أبا سلمى .

هجرس : (**ينكب على المهلهل باكيا دون صوت**) ...

(ستار)

الفصل الرابع

« المشهد الأول »

فناء بيت الحارث بن عباد .

فى صدر المسرح رواق مرتفع قليلا عن أرض الفناء متصل بالبيت .

أرائك واطئة مكسوة بالجلد قد وضعت فى صدر الفناء وعلى جانبيه الأيمن والأيسر .

(عند رفع الستار يرى الحارث داخلا ومعه شاب حسن الهيئة فى حدود الخامسة والعشرين)

الحارث : اجلس يا أخا اليمن .. أهلا وسهلا .

الشاب : ألا تسألنى أولا من أى قبيلة أنا ؟

الحارث : ماذا يدعونى إلى ذلك ؟

الشاب : لتعلم أصديق أنا أم عدو .

الحارث : كل عربى فهو لنا اليوم صديق .

الشاب : ولو كان من مذحج ؟

الحارث : لا سيما إن كان من مذحج .

الشاب : ومعركة خزازى ألا تذكرها ؟

الحارث : بلى أذكرها والغصة فى حلقى .

الشاب : لقد كنتم فيها منتصرين وكنا فيها منهزمين .

الحارث : بل كنا جميعا مخدوعين ، وكان الانتصار الحق لأعداء العرب .

الشاب : من ذا تعنى ؟

الحارث : الروم وأذنابهم من الأحباش واليهود .

الشاب : وما شأن هؤلاء ؟

الحارث : كانوا وراء تلك الحرب بين معد واليمن ، ثم التى بعدها بين بكر وتغلب . سر لم ينكشف لنا إلا منذ قليل .

الشاب : (**كمن لا يعنيه هذا الأمر**) ومن كان قائدكم فى معركة خزازى ؟

الحارث : (**فى شىء من الضيق**) كليب وائل .

الشاب : وقائدنا هل تعرف اسمه ؟

الحارث : نعم . اسمه فيما أذكر .. معاوية بن عمرو .

الشاب : وأنا اسمى مأمور بن معاوية بن عمرو ؟

الحارث : ابنه ؟

مأمور : نعم .

الحارث : مرحبا بك يا بنى ، نحن وأنتم اليوم أمة واحدة ولن نسمح لأعدائنا أن يفرقوا كلمتنا بعد اليوم .

الحارث : نعم .

مأمور : وأن الذى قتله هو كليب ؟

الحارث : نعم .

مأمور : فقد جئت اليوم لآخذ بثأرى .

الحارث : ماذا تقول ؟

مأمور : جئت اليوم لآخذ بثأرى .

الحارث : ممن ؟

مأمور : من ابن كليب .

الحارث : ويلك ليس لكليب ابن .

مأمور : له ابن من صلبه ينسب إلى غيره .

الحارث : كلا لا نعرف لكليب ولدا إلا أن يكون قد أصاب امرأة فى غزواته فاشتملت منه على ولد .

مأمور : لا بل أمه جليلة بنت مرة .

الحارث : جليلة ليس لها غير ابن واحد من ابن عمها المزدلف الذى تزوجته بعد كليب .

مأمور : اسمه هجرس .

الحارث : نعم .

مأمور : فهو الآن غريمى .

الحارث : ولو لم يكن ابن كليب ؟

مأمور : بل هو ابن كليب لا ريب .

الحارث : أنت أعرف بنسبه من أهله ؟

مأمور : إنما أخبرنى بذلك بعض أهله .

الحارث : من ؟

مأمور : المهلهل .

الحارث : أين لقيته ؟

مأمور : عندنا فى اليمن .

الحارث : ويحك قد كان أولى بك أن تأخذ بثأرك منه ، فهو أخو كليب والمطالب بدمه .

مأمور : أجل لولا أنه دلنى على هجرس هذا وأطلعنى على سره .

الحارث : فقد خدعك وكذبك ليقى نفسه من شرك .

مأمور : كلا .. المهلهل أشجع من ذلك .

الحارث : تبا لك يا فتى ما أسفه رأيك وأقبح فعلك . ترانا نسعى لجمع كلمة العرب ولرد كيد أعدائهم فى نحورهم ، وتجىء أنت من أقصى اليمن لتثير الحزازات القديمة بيننا من جديد ؟

مأمور : إنى لن أنزل عن ثأرى أبدا .

الحارث : ويلك هلا فعلت مثل أميرك سيف بن ذى يزن ، إذ أرسل ابنه إلينا لينبهنا إلى المكايد التى ينصبها أعداء العرب للعرب فى كل مكان ؟

(يظهر معد يكرب بن سيف بن ذى يزن فى طرف الفناء دون أن يشعر به أحد ، ويبقى كذلك كأنما ليسمع ما يقال عنه وعن أبيه) .

مأمور : هذا أمير يسعى لاسترداد ملك آبائه وأجداده فما شأنى

به ؟

الحارث : ويلك أليس يعنيك أن تسترد اليمن حريتها وكرامتها بالخلاص من غزاتها الأحباش ومن ورائهم الروم ؟

مأمور : بلى ولكنى لا أرى أى فرق بين الروم والفرس .

الحارث . : ماذا تعنى ؟

مأمور : إن سيف بن ذى يزن يستنجد اليوم بكسرى ليستبدل بسلطان الروم سلطان الفرس .

معد يكرب : (**يدخل**) من قال لك ؟

الحارث : الأمير . مرحبا بك أيها الأمير . جئت فى الوقت المناسب .

معد يكرب : من هذا الفتى ؟ من اليمن ؟

الحارث : أجل هذا مأمور بن معاوية بن عمرو .

معد يكرب : من مذحج .؟

الحارث : أجل .

معد يكرب : من قال لك يا فتى إن والدى سيف بن ذى يزن يريد أن يستبدل سلطانا بسلطان ؟

مأمور : معذرة يا سيدى الأمير لا يريد ذلك ، ولكن لا مناص من ذلك فليس فى وسعنا أن نناطح الأسدين .

معد يكرب : لكن فى وسعنا أن نجعل أحدهما ينطح الآخر .

مأمور : فالناطح منهما سيخضعنا لسلطانه فى النهاية .

معد يكرب : كلا لقد استطاع آباؤنا من قديم أن يحفظوا أرض العرب

حرة ليس عليها لأجنبي سلطان .

مأمور : كان ذلك قبل أن يعرف الطامعون ما فى أرضنا من كنوز ومعادن .

معد يكرب : بل ما كانوا ليقدروا علينا لو بقينا متحدين وأحبطنا مكايد العدو وتنبهنا لجواسيسه ، هل سمعت بمعركة خزازى ؟

مأمور : نعم . كان أبى فيها قائد مذحج .

معد يكرب : هى التى أضعفت اليمن فمكنت الأحباش من غزوها فاحتلالها . كانت مكيدة دبرها أعداؤنا ليضرب بعضنا ويقضى بعضنا على بعض .

(تتركز الإضاءة على الرواق حيث نرى أم الأغر وجليلة ونائلة رسعدى وكأنهن يتطلعن إلى شيء خارج البيت) .

نائلة : انظرى يا جليلة . هجرس وأسماء .

جليلة : إنما ذهبت معه لتدله على قبر كليب .

نائلة : ألم يجد له دليلا غيرها ؟

جليلة : كان عجلا يخشى على رأس المهلهل أن يتعفن .

أم الأغر : لا بد أنها هى التى عرضت نفسها عليه .

نائلة : أو فرضت نفسها عليه .

أم الأغر : أجل هكذا هى لا تستحى ولا تخجل .

نائلة : نهازة للفرص .

سعدى : اسمعى يا عمتى جليلة . إما أن يختارها أو يختارنى . أنا لن أسكت بعد اليوم .

جليلة : يا بنيتى لا تسمعى لهؤلاء . أنا واثقة أنه يحبك أنت ولا يحب سواك .

سعدى : لا يستريح إلا إليها ولا يتكلم إلا معها وتقولى إنه يحبنى ؟

نائلة : هو معجب بها هذا واضح كالشمس .

جليلة : معجب بها لأنها فارسة . هذا كل ما فى الأمر . أما أن يختارها زوجة فلا .

سعدى : انظرى . لم يشأ أن يتركها ، دخل بها معه إلى مجلس الرجال .

جليلة : هى التى دخلت معه . ماذا يصنع ؟ لعلها تريد أن تكلم خالها .

جليلة : لا حق لك يا أم الأغر . أوَقد نسيت ما فعله الحارث بأبيها ؟

أم الأغر : هى التى نسيت كل شىء كأنَّ بجيرا لم يكن حبيبها ذات يوم . وكأن أباها لم يقتل . وكأنها ما رفعت فى وجه خالها السيف .

جليلة : ويحك يا أم الأغر هذا ما يدعونا إليه الحارث زوجك . إن نتناسى جميعا بعد الصلح كل ما كان قبل الصلح .

(تتركز الإضاءة مرة أخرى على الفناء)

الحارث : هذه أسماء بنت أختى .

أسماء : أهذا يا خالى هو الأمير اليمنى ؟

الحارث : نعم يا أسماء . ما كنت عندنا حين جاء إلينا أول مرة .

أسماء : كنت حينئذ أحاربكم مع تغلب . الأمير معد يكرب بن سيف بن ذى يزن ؟

معد يكرب : وإنك لتعرفين اسمى ؟

أسماء : كيف لا وقد كان لك الفضل فى هذا الصلح الكريم الذى تم بين بكر وتغلب . أقضيت هذه المدة كلها عند كسرى أيها الأمير ؟

معد يكرب : نعم .

أسماء : ونجحت مهمتك عنده ؟

معد يكرب : الحمد لله . ما تركته حتى أمر بإعداد السفن والجنود والسلاح وكل شىء .

أسماء : وأنا أعدك يا أمير اليمن أن أحشد لك الرجال والخيل والعتاد للاشتراك معكم فى تحرير اليمن .

معد يكرب : بوركت يا أسماء .

هجرس : وأنا أيضا يا أمير اليمن .

الحارث : هذا هجرس بن عمرو بن الحارث الذى ساق إلينا ذكوان من أقصى اليمن .

معد يكرب : بوركت يا هجرس . هذا عمل تستحق عليه كل ثناء وتكريم .

الحارث : وجاءنا أيضا برأس المهلهل .

معد يكرب : أنت قتلته يا هجرس ؟

هجرس : أجل .

معد يكرب : واأسفاه عليه . ما كان أحرى فارسا مثله أن يشهد معنا معارك التحرير باليمن . إذن لما لقى مصرعه حتى يكون قد جندل كثيرا من أبطال العدو .

الحارث : صدقت يا ابن ذى يزن . وواأسفاه على أبطال غيره كثيرين أكلتهم هذه الحرب بين بعضنا وبعض . آه لو كنت جئتنا بالنذير من عهد بعيد .

معد يكرب : ما كان ذلك فى الإمكان فما انكشفت لنا تلك الخطة التى تواطأ عليها أعداء العرب إلا فى عهد قريب . لقد كنا مثلكم غافلين .

الحارث : هل اهتديت إلى قبر كليب يا هجرس ؟

هجرس : نعم دلتنى عليه أسماء .

أسماء : بعد لأى يا خالى وبعد عناء .

هجرس : قبر طامس فى أرض قفر .

أسماء : حقا ما كان ينبغى لأبى الماجدة أن يهمل قبره . لقد كان أعز رجل فى العرب .

معد يكرب : ولكن ماذا صنع أبو الماجدة لقومه . انتصر فى خزازى على جموع اليمن ؟

أسماء : نعم .

معد يكرب : ما زاد على أن أعمل سيوف العرب فى رقاب العرب ، من

أجل أعداء العرب .

أسماء : نعم .

مأمور : دافع عن أبيك يا هجرس .

هجرس : من تكون ؟

مأمور : أنا ابن قائد مذحج يوم خزازى الذى قتله أبوك .

هجرس : هل قتله المزدلف عمرو بن الحارث ؟

مأمور : لا تحاول أن تتهرب منى . أنا أعنى كليب وائل .

هجرس : كليب ليس بأبى .

مأمور : بل هو فى الحقيقة أبوك وليس المزدلف .

هجرس : ويلك ما علمك بى وبنسبى ؟

مأمور : عمك هو الذى أخبرنى .

هجرس : ليس لى من عم .

مأمور : المهلهل .

هجرس : لو كان عمى ما قتلته .

مأمور : لعلك عاجلته قبل أن يخبرك .

هجرس : كلا . لقد حاول أن يخدعنى فكذبته .

مأمور : كذبت صادقا وقتلت أخا لأبيك .

هجرس : ويلك يا هذا ! إن كنت تريد أن تبارزنى فهلم وليكن أبى من يكون .

مأمور : كلا لن أبارزك حتى تستيقن أولا أنك ابن كليب .

معد يكرب : مه يا مذحجى ! إن احتمل هؤلاء سوء صنيعك من أجل

أنك ضيف من اليمن ، فإنى أحرج عليك أن تثير الفتنة فى العرب أحوج ما نكون إلى اجتماع كلمتهم لتحرير بلادنا المحتلة . اليمن .

مأمور : إنى أطالب بثأرى أيها الأمير وذلك من حقى .

معد يكرب : قبحك الله . تطالب بدم أبيك الذى أهريق منذ عشرين سنة فى حرب آثمة من حروب العشيرة ، وتنسى وطنك الذى احتل العدو دياره واستباح ذماره واستعبد أحراره ؟

مأمور : كلا أنا ما نسيت وطنى .

معد يكرب : اسمع يا مذحجى . أتدرى فيم اجتماعنا اليوم فى دار هذا السيد سيد ربيعة الحارث بن عباد ؟ لكى نحاكم جاسوسين للروم واليهود ظلا عشرين سنة ينفثان سموم الفتنة فى هذه الناحية من بلاد العرب ، فحذار أن تصنع صنيعهما فتكون الجاسوس الثالث .

(يتوافد الرجال من بكر وتغلب فيهم مرة وجساس وعتاب بن سعد وعمرو بن الفدوكس فيتصافحون ويتعانقون فى مودة وصفاء والحارث يحييهم ويرحب بهم) .

الحارث : الحمد لله يا قوم . أليس هذا العناق والتواد بينكم أفضل مما كنا فيه من تضريب الهام وتقطيع الأرحام .؟

عتاب : بلى يا أبا بجير ولك أنت الفضل .

الحارث : بل الفضل لسيف بن ذى يزن وابنه هذا الأمير معد يكرب . فاهتفوا معى ليحى سيف بن ذى يزن .

الجميع : ليحى سيف بن ذى يزن . ليحى سيف بن ذى يزن .

الحارث : أحضروهما الآن ، أحضروا ذكوان ونشوان .

أسماء : واحدا بعد واحد يا خال لئلا يتواطآ عليك .

الحارث : صدقت يا أسماء . أحضروا نشوان أولا .

(تتركز الإضاءة على الرواق)

سعدى : هل رأيتن وقاحتها ؟

نائلة : تريد أن تلفت إليها عيون الرجال .

أم الأغر : وقلوبهم .

جليلة : سبحان الله ! إنها أشارت برأى حكيم وقد قبله الحارث .

أم الأغر : الحارث يقبل منها كل شيء .

(تنتقل الإضاءة إلى الفناء)

(يدخل نشوان يسوقه اثنان وفى يديه القيد)

الحارث : أنت حرضت سيدك مرة بن ذهل على بيع أرض بنى شيبان التى بين القطيف والبطاح ؟

نشوان : نعم . من أجل مصلحته .

الحارث : أى مصلحة ؟

نشوان : كانت ستضيع منه لو لم يفعل .

الحارث : كيف ؟

نشوان : كانت عرضة ليستولى عليها بنو تغلب ، فقد كانوا

منتصرين علينا فى كل مكان إذ ذاك .

الحارث : وكنت أنت الوسيط فى البيع ؟

نشوان : نعم .

الحارث : ولمن بعت .؟

نشوان : لبعض عرب يثرب .

الحارث : لبعض عرب يثرب أم لبعض يهود يثرب ؟

نشوان : لرجل من الأوس .

الحارث : اشتراها ذلك الرجل لنفسه أم لغيره ؟

نشوان : لست أدرى .

الحارث : أتبيع مثل هذه الصفقة العظيمة دون أن تدرى لمن ؟

نشوان : مبلغ علمى أنها لذلك الرجل الأوسى .

الحارث : فكيف صارت إلى اليهود حتى أقاموا فيها الحصون المنيعة وأنشأوا المستعمرات المسلحة ؟

نشوان : لست أدرى .

الحارث : لا دريت . أحضروا ذكوان الآن .

(يحضرون ذكوان والقيد فى يديه)

الحارث : من الذى باع أرض بنى تغلب فى سوى .

ذكوان : سيدى المهلهل .

الحارث : وأنت الذى أشرت عليه ببيعها ؟

ذكوان : نعم .

الحارث : ما حملك على ذلك .؟

ذكوان : رأيته فى حاجة إلى المال بعد ما توالت الهزائم ، فأشرت عليه ببيع الأرض ليقضى ديونه وينفس ضيقته .

الحارث : وكنت أنت الوسيط فى تلك الصفقة ؟

ذكوان : نعم .

الحارث : من الذى اشتراها من المهلهل ؟

ذكوان : رجل من يثرب .

الحارث : اشتراها لنفسه أم لغيره ؟

ذكوان : أغلب الظن أنه اشتراها لنفسه .

الحارث : هو إذن مشكم بن سلام رأس اليهود بخيبر .

ذكوان : كلا يا سيدى بل رجل عربى من الأوس .

الحارث : اشتراها هو إذن لمشكم بن سلام ؟

ذكوان : جايز .

الحارث : وما كنت تدرى أنه يشتريها لمشكم ؟

ذكوان : لا . ما أخبرنى ولا سألته .

الحارث : هل تعرف مشكم بن سلام ؟

ذكوان : كيف لا وهو سيدى الأول الذى أهدانى إلى سيدى كليب وائل .

الحارث : أتدرى لماذا أهداك إليه ؟

ذكوان : لا .

الحارث : وأهداك أنت إلى مرة بن ذهل ؟

نشوان : نعم .

الحارث : هل تدرى لماذا ؟

نشوان : لا .

الحارث : (لمرة) يا أبا همام هل كنت تعرف ذلك اليهودى قبل ذلك ؟

مرة : لا ما كنت أعرفه ولكنه مر بنا ذات يوم فأضفناه ، فأهدى نشوان إلىّ بعدما أهدى أخاه ذكوان إلى كليب .

الحارث : اعترفا إذن أن سيدكما اليهودى قد اتخذكما جاسوسين علينا نحن بنى بكر وبنى تغلب .

ذكوان : معاذ الله أن نرضى بذلك .

نشوان : كيف نسئ إلى موالينا الذى أحسنوا إلينا كل الإحسان .

الحارث : تكلم الآن يا أمير اليمن يا ابن سيف بن ذى يزن .

معد يكرب : يا معشر ربيعة . لقد كان من توفيق الله لنا أن وقع فى يدنا كتاب أرسله مشكم بن سلام هذا إلى أبرهة الحبشى الذى يحتل بلادنا اليوم والكتاب أفصح من كل فصيح ، فبحسبى أن أتلوه عليكم لتعرفوا منه كل شىء :

من مشكم بن سلام إلى أبرهة عظيم الحبشة وحاكم اليمن .

إننا على اختلاف ديننا نحن وأنتم إنما نعمل لغاية واحدة هى تفريق كلمة العرب وتمزيق وحدتهم ، حتى يتسنى لنا أن نخضعهم ونخضع بلادهم لسلطان الروم . وكنا قد تعاونا فيما مضى ونحب أن نزيد من تعاوننا حتى تتحقق

مطالبنا فى وقت قريب . واعلم يا عظيم الحبشة أن لى جواسيس فى كل بقعة من بقاع الجزيرة ينقلون لى الأخبار ويعقدون الصفقات ويذللون العقبات ، وقد فرغنا قريبا من تشييد مستعمرة جديدة فى أرض بنى شيبان بين القطيف والبطاح على غرار مستعمراتنا فى يثرب وخيبر وفدك وتيماء ووادى القرى . وآمل ألا يمضى وقت طويل حتى تكون لنا مستعمرات فى سائر أرجاء بلاد العرب تكون مسالح للروم توطد سلطانهم فى هذه الناحية من الأرض . والسلام .

الحارث : ماذا تقولان الآن ؟ أتنكران أنكما من جواسيسه ؟

نشوان : لا حق لكم أن تأخذونا بالظن . ما شأننا نحن بمشكم بن سلام ؟

ذكوان : ألأنه كان سيدنا قديما نتحمل نحن تبعة أعماله ؟

نشوان : لقد انقطعت الصلة بيننا وبينه منذ أكثر من عشرين سنة .

الحارث : كذبت . الصلة بينكما وبينه قائمة على الدوام .

نشوان : ألأننا توسطنا له فى شراء أرض بنى شيبان وأرض بنى تغلب ؟ لقد كنت فى ذلك لمصلحة سيدى مرة بن ذهل .

ذكوان : وكنت أنظر لمصلحة سيدى المهلهل .

الحارث : ماذا كتبت إلى أخيك ذكوان عقب القبض عليك ؟

نشوان : ما كتبت له شيئا . لقد كان هو باليمن وكنت أنا فى الحبس .

الحارث : كذبت . إن كتابك هذا وقع فى يد المهلهل فسلمه المهلهل وهو يموت إلى هجرس . اقرأه علينا يا هجرس .

هجرس : من نشوان إلى ذكوان .

اكتشف الحارث بن عباد سرنا فقبض علىّ وأعلن الصلح بين بكر وتغلب ، وقام بحملة فاستولوا على الأرض التى كان مرة قد باعها لمشكم بن سلام ودمروا كل شىء فيها . فإذا أتاك كتابى هذا فانج بنفسك إلى خيبر ، والسلام .

الحارث : ماذا ترون يا قوم ؟ لعل ما بقى عندكم من شك فى أمر هذين الخائنين ؟

أصوات : لا ، لا شك أنهما جاسوسان من جواسيس اليهود والروم . سلمهما إلينا لنرجمهما بالحجارة .

الحارث : على رسلكم يا بنى بكر وتغلب . اليوم وقد جمعنا الله مرة أخرى على السلام والوئام يحسن بنا أن نستخرج العبرة مما كان . فلنتذكر الآن كيف نشبت الحرب بين الأخوين بكر وتغلب لعلنا نجد أصابع هذين العبدين فى إثارة تلك الحرب الضروس .

جليلة : (**تطل من الرواق**) أجل يا بنى قومى لقد صارت اليوم واضحة كالشمس . لقد كان كليب — حتى بعدما

رجع من معركة خزازى — رجلا حصيفا رزينا محبا لقومه ساعيا فى خدمتهم ، ولم يتغير إلا بعدما لحق بخدمته ذكوان هذا فاستحوذ عليه وصار لا يقطع أمرا دونه . ومنذ ذلك الحين أخذ كليب يتكبر ويتعالى ويعتبر نفسه ملكا على قومه .

مرة : وأنا أذكر أن نشوان كان أشدنا حنقا على كليب وتنديدا بأعماله وتحريضا على قتله .

جساس : أجل كان نشوان يحرضنى أنا وعمرو بن الحارث كل يوم على قتل كليب .

أسماء : وأنا أشهد أن أبى كان كثيرا ما يقول لى إن الذى حرض المهلهل على قتل بجير هو عبده ذكوان وكنت لا ألقى بالا لذلك . ولكنى أدركت الآن أن ذكوان كان يسعى إلى دفع خالى الحارث للاشتراك فى الحرب .

أصوات : ماذا تنتظرون الآن ؟ سلموهما إلينا لنرجمهما بالحجارة . ليس لهما إلا الرجم .

الحارث : أجل كل من قتل له قتيل فى هذه الحرب فليرمهما بحجر . هذا هو الجزاء العدل ، سوقهما إلى المرجم .

(يسوقون نشوان وذكوان حتى يخرجوا بهما وتتعالى الأصوات من الخارج مختلطا بعضهما ببعض) .

(ينهض الجميع ويتفرقون ليتطلعوا إلى ما تفعله الجموع بالجواسيس ولا يبقى على المسرح غير هجرس فى الفناء

وجليلة فى الرواق) .

جليلة : من أين جاء هذا اليمنى السخيف الذى ألقى عا سخيفة ؟

هجرس : أسخيف عندك يا أماه من يطلب ثأر أبيه ؟

جليلة : فليطلبه عند من له الثأر عنده .

هجرس : إنه يظن أننى ابن كليب .

جليلة : ظن باطل .

هجرس : وما يدريه ؟

جليلة : لقد قيل له ذلك .

هجرس : وقيل له غير ذلك .

جليلة : أيصدق المهلهل ويكذبنا .

هجرس : أنا أيضا أميل إلى تصديق المهلهل .

جليلة : ويحك يا بنى ! ألا تعلم أن له مأربا فى ذلك ليا قتل خالك جساس ؟

هجرس : وأنتم أيضا لكم مأرب فيما تزعمون .

جليلة : أى مأرب ؟

هجرس : لتحموا قاتل أبى من بطشى .

جليلة : أبوك قتل فى المعركة . أصابه سهم غريب ف قاتله .

هجرس : أنا أعنى كليب وأنت تعنين المزدلف .

جليلة : المزدلف أبوك .

هجرس : ما جئتنى بجديد فطالما سمعت هذا من قبل .

جليلة : ولم ترد أن تؤمن به ؟

هجرس : أردت والله ولكنى لم أستطع .

جليلة : ليت شعرى ماذا نصنع لك .؟

هجرس : خبرينى يا أماه كم عشت مع المزدلف .؟

جليلة : أكثر من عشرين سنة .

هجرس : فكيف لم ترزقى منه ولدا غيرى ؟

جليلة : تلك مشيئة الله لا يد لنا فيها يا بنى .

(يعود الجميع إلى أماكنهم فى المسرح بعد ما غاب الموكب عن أبصارهم) .

مرة : (**يصيح**) الآن يا قوم يجب أن نعين موعد زفاف سعدى لهجرس .

الحارث : على بركة الله يا أبا همام .

جساس : متى يا أبت تحب ذلك ؟

مرة : فى الحال .. فى خلال هذا الشهر .

هجرس : ألا نؤجل ذلك يا جدى ؟

مرة : (**غاضبا**) كلا ! الحرب لم تبق من نسائنا آل شيبان غيرك ، فعلينا أن نعجل بتزويجك .

هجرس : حتى أعود من قتال الأحباش فى اليمن .

مرة : بل ابن بها أولا فإذا حملت منك . فامض حيث تشاء .

(تتركز الإضاءة على الرواق)

سعدى : لا يريد أن يتزوجنى .

جليلة : بل يريد أن يحارب أولا ليفرغ لك .

سعدى : بل علم أنها ماضية لتحارب فى اليمن فأراد أن يرافقها .

جليلة : لشد ما أنت غيور . اطمئنى يا سعدى فلن يجرؤ على مخالفة جدك .

(تنتقل الإضاءة إلى الفناء مرة أخرى)

هجرس : أيها الأمير قل لجدى يأذن لى فى المسير معك .

مرة : كلا لا تفعل أيها الأمير ، فإنى لن أقبل فى هذا الأمر شفاعة أحد .

معد يكرب : ولو كان سيف بن ذى يزن ؟

مرة : ولو كان سيف بن ذى يزن . إن على بنى شيبان أولا أن يعوضوا ما ذهب من رجالهم فى الحرب .

الحارث : (**ممازحا**) اشهدوا يا قوم . إن أبا همام يستعد لحرب جديدة .

عتاب : أحقا يا أبا همام ؟

مرة : بين العرب والعرب لا .. ولكن على أعداء العرب .

(ستار)

« المشهد الثانى »

(فى بيت مرة بن ذهل)

سعدى : كلا لا أبيت معه بعد اليوم أبدا .

جساس : فيم يا ابنتى ؟

سعدى : ما أنا عنده الآن إلا ابنة قاتل أبيه .

جساس : دعى عنك هذا . هل أساء إليك ؟

سعدى : لا .

جساس : هل أسمعك كلاما قبيحا ؟

سعدى : لا ولكن نظراته .

جساس : ما لها ؟

سعدى : يقطر منها الدم .

جساس : دعينا من وساوسك .

سعدى : يا أبت ما هى بوساوس .

جساس : يا بنيتى ما مر على زفافك إليه غير ثلاثة أشهر .

سعدى : كأنها ثلثمائة عام .

جساس : مبالغة .

سعدى : لا والله . كنت أتوقع فى كل ليلة يا أبى أن يقتلك .

جساس : وكنت تصحين كل صباح فتجدينني بخير .

سعدى : لكننى البارحة رأيت منه ما روعنى فوق كل احتمال .

جساس : كيف ؟

سعدى : كان لطيفا معى أول الليل فسرنى ذلك منه . وظننت أنه قد سلا بعض ما به ، فطفقت ألاطفه حتى رقت بيننا النجوى فلما ...

(تظهر نائلة من خلفهما)

جساس : لما ماذا ؟

سعدى : لما .. لما ..

نائلة : لما نام إلى جنبها .

سعدى : زفر زفرة حرى تنفط لها ..

نائلة : ما بين ثدييها .

سعدى : فأيقنت يا أبى أنه قاتلك لا محالة .

نائلة : حتى فى تلك الساعة لم يستطع أن ينسى .

سعدى : أنشدك يا أبت إلا ما أخذتَ حذرك منه .

جساس : هو زوجك يا سعدى فعودى إليه . ودعى عنك ما بينى وبينه .

سعدى : كلا يا أبت لا أستطيع . رجل يريد أن يقتل أبى فكيف أنام معه فى فراش واحد ؟

جساس : إن الحرب يا سعدى قد أرتنا الكثير مما تنكرين . هذه أمك بعدما قتلتُ أخاها كيف ظلت تنام إلى جنبى أكثر من عشرين سنة .

نائلة : إن كليب يا جساس كان قد ظلمنى وأراد أن يفرق بينى وبينك .

سعدى : أما أنت فما رأيت منك إلا الحب والحنان .

نائلة : لقد أصبح هجرس اليوم مثل أبيه كليب ، حتى ليخيل إلىّ أحيانا أنه هو قد انتفض من قبره حيا .

جساس : ماذا تعنين يا نائلة ؟

نائلة : إنك تعلم ما أعنى .

جساس : ماذا تعنين ؟

نائلة : إن كنت تريد أن تبقى لأهلك وعيالك .

جساس : ويلك أتحرضيننى على قتله كما حرضتنى على قتل أبيه من قبل ؟

نائلة : إنه يريد أن يغتالك فعليك أن تسبقه .

سعدى : أجل يا أبت عليك أن تسبقه قبل أن يقتلك .

جساس : أنت أيضا يا سعدى ؟

سعدى : يا أبت ليس لى غيرك .

جساس : وزوجك ؟

سعدى : هذا ليس لى . لأسماء التغلبية .. تغلبى مثلها .

جساس : يا بنيتى لا تدعى الغيرة تخيل لك ما ليس بحق .

سعدى : بل هذا هو الحق . قلبه معها .. يهواها من قديم .

جساس : مبلغ علمى أنه يحبك يا سعدى ولا يهوى سواك .

سعدى : لو كان يحبنى حقا لما فكر فى قتلك .

جساس : ذاك شيء آخر . من أجل أني قتلت أباه . وإنه ليحبني ويعز عليه أن يتعرض لى بمكروه لولا الثأر .

نائلة : أى ثأر ؟ أليس قد سقط كل ذلك بالصلح الذى تم بين الجنبين ؟

جساس : تلك هى محنته . لا يريد أن يفترض بأن الصلح قد جب كل ما قبله .

نائلة : عليك إذن أن تدفع عنك شره .

سعدى : وتعاجله قبل أن يعاجلك .

جساس : وجليلة . ماذا أصنع فى جليلة ؟

نائلة : جليلة . جليلة . كل اهتمامك بجليلة . أليس لنا نحن مكان فى قلبك ؟

جساس : إنك تعلمين يا نائلة كم كابدت جليلة .

نائلة : ما من أحد منا إلا كابد .

جساس : مثلها ؟

نائلة : وأشد .

جساس : كلا لقد ظلت تلبس الحداد منذ قتل كليب حتى اليوم .

نائلة : كان عليها أن تخلع حدادها إذ تزوجت ، فما رأيت امرأة غيرها قد جمعت بين الحداد والزواج .

جساس : من قال لك إنها تزوجت ؟

نائلة : وعمرو بن الحارث ؟

جساس : كان زواجها منه صوريا لا يمسها ولا تمسه .

نائلة : من أجل هجرس ؟

جساس : نعم .

سعدى : وكنت يا أبى تعلم ذلك ؟

جساس : نعم .

سعدى : وجدى مرة ؟

جساس : لا . ما كان يعلم غيرنا نحن الثلاثة .

نائلة : الآن فهمت كيف كانت لا تغار من زوجاته الأخريات .

سعدى : ولم تنجب أحدا بعد هجرس .

نائلة : خبرنى يا جساس أحقا كان يهواها قبل أن يتزوجها كليب ؟

جساس : أجل .

نائلة : فكيف استطاع أن يصبر عنها بعدما صارت له ؟

جساس : كان هذا شرطا بينها وبينه .

نائلة : فكيف رضى بذلك ؟

جساس : من فرط حبه لها وإخلاصه .

نائلة : لعله كان يخشى هو أيضا من هجرس إذ اشترك معك فى قتل كليب .

جساس : لا والله يا نائلة ما كنا جميعا نعمل إلا لخير هجرس حتى لا يشعر بيننا أنه غرَيب .

نائلة : فقد ذهب كل سعيكم سدى إذ جاءت النتيجة

بالعكس .

سعدى : وصار اليوم لا هم له إلا قتلك .

نائلة : آه لو تركتموه قبل أن يتزوج سعدى فذهب لقتال الأحباش فى اليمن ؟

سعدى : إذن لربما قتل هناك فاسترحنا منه .

جساس : كان أبى هو الذى أصر على تزويجه أولا لإشفاقه على بنى شيبان من قلة الولد ونقصان العدد .

نائلة : فليفرح أبوك اليوم بالجنين الذى فى بطن سعدى ليكون عوضا عنك .

جساس : ماذا تقولين ؟ أوَقد حملت سعدى ؟

نائلة : نعم . انقطع طمثها هذا الشهر .

جساس : يا ويحك يا بنيتى وويح جنينك . ماذا يقول غدا إذا علم أن جده لأمه قد قتل أباه كما قتل أبا أبيه من قبل ؟

نائلة : أو لو علم غدا أن أباه قد قتل جده لأمه الذى رباه فأحسن تربيته ؟

جساس : والله لا أدرى يا نائلة ماذا أصنع ؟

نائلة : عهد الناس بك جريئا جسورا فأين ذهب إقدامك وجسارتك .

جساس : كان ذلك هو السبب فى كل ما حصل . لو أنى كنت متأنيا بعض التأنى.. لو كنت متبصرا بعض التبصر لربما استطعنا أن نعيش مع كليب . أو ربما كف كليب عن بعض ما كان يبلونا به .

نائلة : أجل .. ما كان كليب يريد قتلك . ولكن ابنه هذا يريد .

جساس : لا أكتمك يا نائلة أننى أود أحيانا لو أقدم هجرس على ما يريد فانتهى كل شىء .

نائلة : كلا . إن كان لا بد فلتكن أنت القاتل وليكن هو المقتول .

جساس : أراك تقسين على ابن أخيك .

نائلة : أليس هو المصر على العدوان المجاهر به ؟

جساس : خير أن يجاهرنا بعزمه من أن يباغتنا به .

سعدى : صه . عمتى جليلة مقبلة .

نائلة : دعينا بنسحب يا سعدى .

جساس : لِم لا تبقيان .

نائلة : لعلها تريد أن تكلمك وحدك (**تخرج وخلفها سعدى**) .

جساس : أهلا بك يا جليلة .

جليلة : ما خطبهما يا أخى ؟ خرجتا إذ رأتانى .

جساس : كلا يا جليلة لقد كانتا خارجتين إذ أقبلت .

جليلة : لا بأس . ليس هذا كل ما أصابنى فى هذه المحنة .

جساس : أين ابنك هجرس .؟

جليلة : لا أدرى . ما رأيته اليوم .

جساس : ولا فى أول الصباح .

جليلة : ولا فى أول الصباح . لقد صار يتجنبنى ويتوقانى .

جساس : لا حق له . ما ذنبك أنت ؟

جليلة : ما أحسبه يكرهنى يا أخى بل لعله يحبنى الآن أكثر من ذى قبل .

جساس : أعلم ذلك .

جليلة : ولا أحسبه كذلك يكرهك .

جساس : أجل أعلم أنه يحبنى كما أحبه .

جليلة : فارفق به يا أخى لعلنا نجد مخرجا فى الكربة .

جساس : ماذا تريدين منى أن أصنع ؟

جليلة : ألا تكون أنت البادئ بالبطش .

جساس : هل أنكرت منى شيئا يا جليلة ؟

جليلة : نعم رأيتك أمس تنظر إليه فلمحت فى عينيك مظاهر الشر .

جساس : وعينيه هو ألم تلمحى فيهما شيئا ؟

جليلة : الأسى والقلق والحيرة والتردد .

جساس : أنت عليه مشفقة .

جليلة : وعليك أنت .

جساس : عليه أكثر . ابنك الوحيد .

جليلة : وأنت اليوم أخى الوحيد . لقد ثكلت فى هذه الحرب همام بن مرة وشراحيل بن مرة ونضلة بن مرة والحارث ابن مرة . فما من طاقتى أن أثكلك .

جساس : ترى نصحت ابنك أيضا يا جليلة ؟

جليلة : كثيرا يا أخى لقد هددته بألا أريه وجهى أبدا إذا فعل .

جساس : فماذا قال ؟

جليلة : قال إن خالى قد تيقن أنى قاتله ، فإن لم أقتله قتلنى .

جساس : فماذا قلت له ؟

جليلة : ناشدته ألا يكون هو البادئ .

جساس : فماذا أجاب ؟

جليلة : سكت ولم يجب .

جساس : أليس هذا من الصمت الذى هو أبلغ من الكلام ؟

جليلة : سأناشده مرة أخرى ولن أتركه حتى يعاهدنى ألا يكون هو البادئ ، فعاهدنى أنت الآن ألا تكونه .

جساس : دعيه يعاهدك أولا فأعاهدك .

جليلة : سيقول لى هو أيضا مثل قولك .

جساس : إذا كان لا يثق بى فكيف تريدين منى أن أثق به ؟

جليلة : أنسيت يا جساس أنه كل ما بقى لى فى الحياة ؟

جساس : هأنتذى قد اعترفت الآن .

جليلة : لست يا أخى فى هذا بحاجة منى إلى اعتراف .

جساس : أنت كنت السبب فلو لم تمنعى المزدلف من حقه عليك لكان لك منه اليوم وُلد كثير ، يعزونك عن كليب وابن كليب .

جليلة : ابن كليب ، ما هو اليوم عندك إلا ابن كليب ؟

جساس : أوَليس هو كذلك ؟

جليلة : إنه ابني يا جساس ، ابن أختك .

جساس : فليذكر هو أيضا أني شقيق أمه ووالد امرأته ، لقد أصبح يكره سعدى من أجل سعدى التي كان يحبها من قبل ، ما هي عنده اليوم إلا ابنة قاتل أبيه .

جليلة : لقد كنت أظن يا أخي أنك تعزني فافعل اليوم ما بدالك .

(تهم بالخروج)

جساس : (**يعترضها ويمسكها**) على رسلك يا أختاه ، والله إني لأعزك فوق ما تظنين . ولكن الصلح قد عقد بيننا فجب كل ما قبله وطمعت أن أعيش ما بقي من عمري في سلام فإني ما ذقته من قبل . ويجيء اليوم ابن أختي فيريد أن يجعل امرأتي أيما وابنتي يتيمة ـــ سعدى التي بقيت لي بعدما ذهب إخوتها جميعا في الحرب .

جليلة : صدقت يا أخي ولكن ما المخرج ؟ أليس من مخرج أو سبيل ؟

جساس : الأمر كله عند هجرس . في وسعه لو شاء أن ينعم بحبي وعطفي كما كان ونعيش جميعا في عهد جديد لا صلة بينه وبين الماضي البغيض .

جليلة : أجل يا أخي ، ولكن كيف ننتزع فكرة الثأر من رأسه ؟

جساس : تلك هي العقبة .

جليلة : نسيت أن أسألك على الحارث بن عباد . ماذا كان من

أمره ؟ ألم يستطع أن يصنع شيئا ؟

جساس : الحارث لا يعنيه إلا خوفه أن تتجدد الحرب مرة أخرى بين بكر وتغلب .

جليلة : نحن جميعا نشفق من ذلك ، ولكن ماذا عنده من رأى ؟

جساس : من رأيه أن يخلع كلانا نفسه من قبيلته ، حتى إذا قتل أحدنا الآخر لم يكن لقبيلته شأن به .

جليلة : أهذا كل ما عنده ؟

جساس : نعم .

جليلة : هذا حقا قد يحفظ السلام بين الحيين ، ولكنه لا يمنع المحذور الذى نخشاه بل لعله أن يغرى به ويشجع عليه .

جساس : أعود فأقول كل هذا منك يا جليلة . ما كان ينبغى أبدا أن تخبريه بالحقيقة .

جليلة : قلت لك إنه سمعها من المهلهل فى اليمن .

جساس : ولكنه لم يستيقن إلا منك .

جليلة : قلت لك إنه استدرجنى . قال لى إن الحيرة هى التى تضنيه وتقلقه وتؤرقه ، فلو استيقن منى أنه ابن كليب لاطمأنت نفسه وزال كل ما به .

جساس : ماكر مثل المهلهل عمه .

جليلة : كنت والله أظنه صريح الرأى مثل أبيه .

(يرتفع الستار الأمامى فيظهر منظر جديد فى بيت الحارث بن عباد حيث يرى هجرس فى الفناء ومعه

مأمور بن معاوية) .

هجرس : ويلك يا هذا ! أتتبعنى فى كل مكان ؟

مأمور : أنت الذى حملتنى على ذلك .

هجرس : لقد دعوتك من قبل إلى المبارزة فاعتذرت .

مأمور : كان ذلك قبل أن تستيقن أنك ابن كليب فبارزنى الآن .

هجرس : كلا . بعد أن آخذ بثأر أبى أولا . ألم توافقنى أنت على ذلك .

مأمور : لكنك ماطلتنى .

هجرس : اصبر قليلا فسأنتهى وشيكا من كل شىء .

مأمور : متى .

هجرس : قلت لك وشيكا فاتركنى الآن .

مأمور : لا أتركك حتى تخبرنى متى ؟

هجرس : (**كاظما غيظه**) غدا أو بعد غد .

مأمور : ما يدرينى أنك ستعيش إلى غد أو بعد غد .

هجرس : ثق يا هذا أننى لن أموت حتى أقتلك .

مأمور : ويلك ما يدرينى ألا يسبقك هو فيقتلك ؟

هجرس : كلا لن أمكنه من ذلك .

مأمور : إنه قد علم بنيتك ؟

هجرس : نعم .

مأمور : فلن يمهلك .

هجرس : هذا شأنى أنا لا شأنك .

مأمور : بل شأنى أنا ويلك . أنت غريمى ولن أدعك تفلت منى .

هجرس : (**يتميز من الغيظ**) آه لولا حرصى على ثأر أبى .

مأمور : أوَليس لى أن أحرص على ثأر أبى مثلك ؟

هجرس : (**يتجلد**) طب نفسا . لأنتهين منه اليوم .

مأمور : يومنا هذا ؟

هجرس : نعم .

مأمور : فما بقاؤك هنا ؟ أتريد أن تقتله عند الحارث بن عباد ؟

هجرس : (**يستشيط غضبا**) لحاك الله . أقتله هنا أو هناك ، ما شأنك أنت ؟

مأمور : لا تغضب . إن لم تقتله اليوم فلا تلومن إلا نفسك .

(**يخرج**) .

(**تدخل أسماء**)

أسماء : ما زال هذا المذحجى يطاردك ؟

هجرس : أكنت تسمعين ؟

أسماء : سمعت بعض حديثه . قبحه الله هو الذى ذكرك بثأر أبيك .

هجرس : كلا لست فى حاجة إلى من يذكرنى به .

أسماء : لولاه لما تشددت فى أمره . ولكان فيما سمعته من خالى الحارث وغيره من وجوه قومنا ما صرفك عنه .

هجرس : لو كان يصرفنى عنه شىء يا أسماء لكان حديثك .

أسماء : (**فى دلال**) هذا لو كنت تعزنى حقا كما تزعم .

هجرس : أتشكين ؟

أسماء : بل أنا على يقين .

هجرس : إننى أعزك فوق كل عزيز ؟

أسماء : إنك لا تعزنى ألبتة .

هجرس : أتجدين ؟

أسماء : كل الجد .

هجرس : ضاع إذن كل رجاء وخاب إذن كل أمل .

أسماء : الأمل باق لو تصغى إلى حديث العقل .

هجرس : لو كان العقل جميلا مثلك لأصغيت إلى حديثه .

أسماء : إنى أتحدث بلسانه .

هجرس : وددت لو تتحدثين بلسان الحب .

أسماء : ولسان الحب كذلك .

هجرس : هذان لا يجتمعان .

أسماء : بل هما لا يفترقان . إنى أدعوك إلى الحب يا هجرس .

هجرس : أحقا يا أسماء ؟ إنى إذن لسعيد .

أسماء : عليك إذن أن تحب قومك وعشيرتك .

هجرس : إنى لأحب قومى وعشيرتى .

أسماء : وتريد أن تعرضهم لحرب جديدة فتشغلهم بها عن حرب العدو ؟

هجرس : أفأترك دم أبى يذهب هدرا ؟

أسماء : لقد راح فى دم أبيك عشرات الألوف من بنى أبيك .

هجرس : لكن قاتله لم يزل حيا يتنفس .

أسماء : إن أخطأه القتل فقد قتل أبناؤه وإخوته وأبناء إخوته وأعمامه وأبناء عمومته ، وقد تم الصلح بين الحيين فتكافأت الدماء وتساقطت الضغائن والثارات .

هجرس : لكن دم كليب لم يسقط .

أسماء : دم كليب ليس أكرم من دم أبى .

هجرس : أبوك كان هو الذى قدم نفسه ليفدى قومه .

أسماء : ذاك يجعله أكرم من كليب وأفضل .

هجرس : ومع ذلك فقد ثرتِ من أجله وخضتِ فيه المعارك ورفعتِ السيوف فى وجه خالك .

أسماء : قبل أن يعلن الصلح فلا جناح علىّ .

هجرس : وأنا لم أعلم أننى ابن كليب إلا منذ أيام ، فكيف أترك قاتله ؟

أسماء : تتركه كما تركته من قبل .

هجرس : لقد خدعنى عن نفسى فجعلنى ألعن اسم أبى وأقاتل عشيرته .

أسماء : إنما كان يشفق عليك وعلى أمك .

هجرس : بل كان يخاف على نفسه أن أشب فأقتله .

أسماء : لو شاء لتخلص منك وأنت طفل صغير .

هجرس : فقد نسبنى إلى غير أبى فكأنه قتلنى .

أسماء : ويحك يا هجرس إنى لأعلم أنك تحب خالك كما يحبك .

هجرس : أجل لقد حرص على أن يجعلنى أحبه حتى يأمن غائلتى فيما لو بلغنى يوما أننى ابن كليب .

أسماء : لا تغال فى سوء ظنك يا هجرس فالخال والد كما يقولون .

هجرس : أحبنى حقا أو لم يحبنى فقد نجح فى جعلى أحبه من صميم قلبى وتلك هى الطامة الكبرى .

أسماء : الطامة الكبرى ؟

هجرس : أجل . لقد شطرنى شطرين فشطر له وشطر عليه ، وكلاهما يمزق الآخر بلا رحمة ولا شفقة .

أسماء : غدا تعانى محنة أكبر من هذه لو قتلت خالك أخا أمك .

هجرس : قد قتلت المهلهل عمى فى سبيل خالى جساس ، فدعينى أقتل خالى فى سبيل عمى فيذهب الندم الجديد بالندم القديم .

أسماء : كلا لتضيفن ندما إلى ندم فيضاعف فى قلبك حتى يقضى عليك .

هجرس : إنك تقولين هذا لأنك لم ترى كليبا أبى وهو يجود بنفسه من الطعنة التى طعنها ، ويفحص برجليه من الظمأ المحرق الذى كان يضطرم فى كبده ويناشد قاتلَيه أن يجودا عليه بشربة ماء وهو العيوف الأنوف الذى تعود أن يأمر ولا يستجدى ، فأبيا أن يسقياه ، وما اكتفيا بذلك حتى قرعاه وذكراه بما كان يمنع الناس أن يرِدوا من ماءى شبيت والأحص . فمات وفى كبده تلك الغلة المتأججة .

أسماء : حسبك لقد قطعت قلبى .

هجرس : إنك لم تريه يا أسماء فكيف لو رأيته ؟

أسماء : وهل رأيته أنت ؟

هجرس : لا ما رأيته ملكا يحكم الناس فيعدل أو يجور ، ولا رأيته صعلوكا يقطع الفلوات وحيدا لا يبالى الهجير ولا الزمهرير ، ويقتحم الأهوال لا يخاف الوحوش ولا السعالى ولا الأغوال . وما رأيته يوم قاد إلى معركة خزازى جموع معد ولا يوم عاد منها منتصرا مظفرا يحيونه بالريحان فى كل مكان ، وتهتف باسمه النساء والولدان . ولكنى أراه أمامى فى كل حين معفر الجبين خافت الأنين يتشحط فى دمه ويفحص بقدمه ويستسقى فلا يسقى فيأكل الثرى من العطش ، فأقول له خذ يا أبى شربة الماء ، فيقول لى وقد جحظت عيناه : «هيهات يا هجرس إنى قد تجاوزت الموردين العذبين شبيتا والأحص » .

أسماء : (**مرتاعة**) هون عليك يا هجرس إنما هى خيالات تتراءى لك .

هجرس : أنت تقولين هذا لأنك لم ترى أباك يقتل أمامك .

أسماء : (**فى احتجاج صارخ**) بلى قد رأيت أبى يقتل أمامى لكنك أنت لم تر أباك يقتل أمامك فقد كنت جنينا فى بطن أمك يومذاك .

(يظهر الحارث بن عباد من خلفهما دون أن يرياه)

هجرس : إذن فقد نسيت أباك .

أسماء : كلا ما نسيته .

هجرس : نسيت الحارث .

أسماء : ولا الحارث .

هجرس : فكيف إذن لا ترينه أمامك فى كل حين ؟

أسماء : (**تضطرب ولا تحير جوابا**) ..؟

هجرس : أجيبى . كيف استطعت ألا تريه أمامك ؟

الحارث : (**يتلقى أسماء وهى تكاد تتهاوى إلى الأرض**) أنا أجيبك عنها يا هجرس . إنها ما نسيت أباها الكريم الذى فدى قومه بنفسه ولكن تناسته .

هجرس : أريد جوابها هى لا جوابك .

أسماء : أجل تناسيته يا هجرس .

هجرس : وكيف استطعت أن تتناسيه ؟

أسماء : من أجل السلام بين بكر وتغلب ، ومن أجل صون بلاد العرب وأمة العرب من مكايد أعداء العرب .

الحارث : بوركت يا أسماء .

هجرس : لكن أبى لا أستطيع أن أتناساه . لا حق لى أن أتناساه . من العقوق أن أتناساه .

أسماء : (**فى غضب**) يا خوان . يا فتان . يا نابش قبور الموتى يا سارق الأكفان .

هنجرس : أسماء ماذا جنيت يا أسماء ؟

أسماء : ماذا تركت لنشوان وذكوان ؟

هجرس : هذان جاسوسان .

أسماء : أنت شر منهما .

هجرس : شر منهما ؟

أسماء : نعم ، كانا عبدين وأنت حر ، وكان غريبين عنا وأنت منا ، وكانا مستأجرين ولست كذلك .

هجرس : إنى أريد أن آخذ بثأر أبى ، وذلك حق لى بل حق علىّ .

أسماء : هذا لو كان قبل الصلح .

هجرس : ما علمت أنه أبى إلا بعد الصلح .

أسماء : فقد سقط إذن حقك .

هجرس : ذاك لو كنت أعلم الحقيقة إذ ذاك ولكنه كتمها عنى .

أسماء : الصلح يجب كل ما قبله .

هجرس : هبى أنه قتل أبى بعد الصلح ، أفلا يكون لى أن آخذ بثأرى منه .

أسماء : بلى ، ولكن الواقع أنه قتل أباك منذ أكثر من عشرين سنة .

هجرس : لكنى ما علمت بذلك إلا بعد الصلح ، فكأنه قتل أبى بعد الصلح .

الحارث : اسمع يا هجرس . ما أراك تصغى لنا ولو قام كليب من قبره وصرفك عن الثأر له .

هجرس : صدقت فإنى أنا صاحب الحق فى دمه لا هو .

الحارث : اسمع يا هجرس . ليس يعنينى أن تذهب أنت أو خالك أو كلاكما إلى جهنم ، ولكننى لن أسمح أبدا أن تعود الحرب مرة أخرى بين بكر وتغلب .

هجرس : لا شأن لى بالحرب بين بكر وتغلب .

الحارث : إن عملك هذا سيؤدى إلى ذلك .

هجرس : كلا لقد ذاق الفريقان من أهوال الحرب ما ذاقاه فلن يعودا إليها أبدا بعد ما نعما بلذة السلم والأمن .

الحارث : لا .. لن أغامر بمستقبل العرب جميعا من أجلك أو من أجل خالك .

هجرس : أوَقد كلمت خالى أيضا فى ذلك ؟

الحارث : نعم .

هجرس : فماذا كان جوابه ؟

الحارث : حمحم ولم يفصح .

هجرس : أوَفى الحق يا عمى الحارث أن تطلقه هو وتقيدنى ليبلغ منى ما يريد ؟

الحارث : كلا لقد اهتديت إلى رأى .

هجرس : ما هو ؟

الحارث : أن يخلع كلاكما نفسه من قبيلته ، فلا شأن له بها ولا شأن لها به .

هجرس : ألهذا دعوتنى اليوم ؟

الحارث : نعم وقد كلمت خالك فى هذا فوافق .

هجرس : إن كان موافقا فأنا موافق .

الحارث : سأعقد العشية مجلسا من وجوه بكر وتغلب ليشهدوا على ذلك .

هجرس : إئذن لى إذن لأرى أمى فإنى ما رأيتها منذ أيام .

الحارث : موعدنا العشية . إياك أن تتخلف .

(ينزل الستار الأمامى ونعود مرة أخرى إلى المنظر الأول فى بيت مرة بن ذهل) .

جليلة : هجرس أين كنت يا بنى فإنى لم أرك منذ أيام ؟

هجرس : لعل الخير لك ألا ترينى يا أماه .

جليلة : فيم يا بنى ؟

هجرس : لقد تغير كل شىء منذ عرفت الحقيقة .

جليلة : لكنى أنا أمك لم أتغير ولن أتغير أبدا .

هجرس : بلى ما من أحد فينا إلا تغير .

جليلة : إنى والله ما زلت أحبك بل صرت أحبك أكثر من ذى قبل .

هجرس : ولكن الجو بيننا لم يعد كما كان .

جليلة : فى وسعك أن تعيده كما كان لو شئت .

هجرس : هيهات ! لقد صار أخوك قاتل أبى وسأكون أنا قاتل أخيك .

جليلة : أما ما كان يا ولدى فلا سبيل إلى دفعه ، وأما ما لم يكن بعد ففى وسعك أن تدفعه لو أردت .

هجرس : كلا يا أماه لو أمكن دفع ما كان لأمكن دفع ما لم يكن بعد ، فكلاهما مرتبط بالآخر .

جليلة : أنا لا أريد أن أجادلك مرة أخرى ، ولكننى أناشدك ألا تهجرنى فإنى لا أقوى على هجرك .

هجرس : سامحينى يا أماه فإنى ما قصدت أن أهجرك .

جليلة : ففيم انقطعت عنى أياما لا أراك فيها ولا ترانى ؟

هجرس : تريدين أن تعرفى السبب ؟

جليلة : نعم .

هجرس : خشيت أن تشلنى رؤيتك عما يجب على عمله .

جليلة : أنت إذن تحبنى بعد ؟

هجرس : إن كنت أحبك فيما مضى فإنى اليوم أحبك وأرثى لحالك .

جليلة : إن هذا ليضاعف حزنى وأساى .

مرة : (**صوت من بعيد**) جليلة يا جليلة .

هجرس : وى ! هذا صوت جدى مرة .

(**يمضى نحو الباب ليخرج**)

جليلة : إلى أين ؟

هجرس : لا أريد أن أراه (**يخرج**) .

مرة : (**صوته مقتربا**) ألم تقل لى إنها هنا .

جساس : (**صوته**) كانت هنا يا أبت منذ قليل . جليلة .

جليلة : نعم . أنا هنا يا جساس (**تتجلد وتمسح الدمع من**

عينها) أهلا يا أبى . لقد كنت ناوية أن أجيئك فى بيتك .

(**يدخل مرة وجساس**)

مرة : (**فى غضب**) منذا كان عندك ؟

جليلة : لا أحد يا أبى .

مرة : بلى ناديتك فلم تجيبنى .

جليلة : خفض عليك يا أبى ماذا أثار غضبك ؟

مرة : (**فى صرامة**) ما أغضبنى غيرك .

جليلة : جساس . ماذا ألم بأبينا ؟

مرة : أجيبى ويلك من كان عندك ؟

جليلة : كان عندى هجرس .

مرة : ولما سمع صوتى هرب ؟ الآن عرفت لماذا انقطع عنى فلم يرنى وجهه منذ أيام .

جليلة : وانقطع عنى يا أبت كذلك .

مرة : كذبت . ها هو ذا كان عندك .

جليلة : ما أرانى وجهه إلا اليوم .

مرة : ليأتمر معك .

جليلة : يأتمر ؟

مرة : على قتلى .

جليلة : على قتلك .

مرة : جساس هو الذى بقى لى من أبنائى فمن يقتله يقتلنى .

جليلة : أأخبرته يا أخى .

جساس : لا والله يا جليلة .

جليلة : فكيف علم ؟

جساس : من سعدى وأمها .

جليلة : تبا لهما ماذا كانتا تقصدان ؟

مرة : بل تبا لك أنت يا ملعونة .

جليلة : ملعونة . أتلعنني يا أبى ؟

مرة : تريدين أن أظل جاهلا هذا السر حتى أموت ؟

جساس : لا ذنب لها يا أبى .

مرة : ألم ترها كيف جزعت لأنى علمت ؟

جساس : من إشفاقها عليك .

مرة : بل ليتمكن ابنها من قتلك دون أن أشعر .

جليلة : (تبكى) يا إلٰهى ! حتى أبى يلعننى ويتبرأ منى . ماذا جنيت يا ربى ؟

مرة : أوَلا تعلمين ماذا جنيت ؟ لقد ربيت فى بيتنا عدوا لنا لينتقم منا .

جساس : أنا يا أبى الذى اقترحت عليها هذا الرأى .

مرة : أنت إذن شريكها فى الجريمة .

جساس : كيف كنت تريد أن ينشأ الطفل بيننا ؟

مرة : كنا نرسله إلى أهله .

جساس : نحن أهله .

مرة : كلا . لسنا أهله . أهله هناك عند قومه .

جساس : وجليلة ؟

مرة : ليست أول أم تلد عدوا لقومها فتتخلى عنه .

جليلة : يا أبت إنك كنت تحبه وتعزه وتفخر به .

مرة : كنت أظنه فتى منا آل شيبان .

جساس : لقد كنا نريد أن نجعله من آل شيبان .

مرة : فهل أفلحتما فى ذلك ؟

جليلة : اغفر لى يا أبى إذ ضعفت أمامه فأخبرته بالحقيقة .

مرة : هذه زلة ثانية أكبر من الأولى .

جساس : لا بأس يا أبى أن تغفرها كذلك .

مرة : كلا ، لن أغفرها أبدا . كنت أغفرها لو بقى الفتى شيبانيا منا ، ولكنه أصبح اليوم ابن كليب . ويلكم ما بقى اليوم من بنى شيبان أحد . ويريد هذا الفتى بعد أن يقتلك . كلا يا جساس . عليك أن تعاجله قبل أن يعاجلك .

جليلة : ويحك يا أبى أتحرضه على ابنى .. على سبطك .. ابن بنتك ؟

مرة : إنه أصبح عدوى ، عدو قومك ، عدو بنى شيبان .

جليلة : يا أبت إن الصلح قد جمعنا ووحدنا .

مرة : ويلك فى بال ابنك التغلبى هذا يريد أن يقتل أخاك ؟ آه لو كنت أعلم من قبل .

جساس : لو كنت تعلم ماذا ؟

مرة : أنه ابن كليب وليس ابن عمرو بن الحارث .

جساس : ماذا كنت تصنع ؟

مرة : كنت اتخذت لى زوجات أكثر فأنجبن لى من البنين عددا أكبر . تبا لكما كتمتماها عنى حتى راح ما بقى من شبابى فلم يبق لى فى النساء أرب . اسمع يا جساس .

جساس : نعم .

مرة : لا تمسين الليلة إلا وقد أعرست .

جساس : أعرست ؟

مرة : نعم .

جساس : الليلة يا أبى ؟

مرة : نعم الليلة . واسمعى يا جليلة .

جليلة : نعم يا أبى .

مرة : عليك أن تختارى له العروس الصالحة .

جليلة : يا أبت لتحقدن علىّ نائلة .

مرة : فلتحقد ما بدا لها أن تحقد ، فإن هى إلا تغلبية .

جليلة : يا أبت أعفنى من ذلك .

مرة : (**ينفجر غاضبا**) كلا لا أعفيك . أما كفاك يا بنت مرة ابن ذاهل بن شيبان ، ما رزأت آل شيبان ؟

جليلة : رزأت آل شيبان ؟ كيف يا أبى ؟

مرة : أنجبت لزوجك التغلبى كليب ، ولم تنجبى لزوجك الشيبانى عمرو بن الحارث .

جليلة : يا أبت ..

مرة : ليست التبعة عليه فقد أنجب هو من غيرك .

جليلة : يا أبت ..

مرة : لا تحاولى أن تكذبينى فقد علمت كل شىء .

جليلة : علمت كل شىء ؟

مرة : نعم من سعدى ونائلة .

جليلة : أنت إذن حرى ألا تلومنى .

مرة : ويلك كيف لا ألومك وقد خنت آل شيبان ؟

جليلة : خنت آل شيبان ؟

مرة : أجل . تزوجت كريما منهم فأبيت أن تعطيه ما كنت تعطينه لزوجك التغلبى .

جليلة : يا أبت ..

مرة : وما ارتضيت الزواج إلا لتتخذيه ستارا لابنك من كليب .

جليلة : (**تصرخ فى وجهه**) يا أبت إن ذلك تم على علمه وبرضاه .

جساس : أجل يا أبت إنه اتفق معها على ذلك الشرط .

مرة : رحمة الله عليه ، أراد أن يكرم ابنة عمه من حيث أرادت هى أن تهينه .

جليلة : سامحك الله يا أبى . الله يعلم أننى كنت أعز عمرو بن الحارث وأقدره .

مرة : لا ألفينك بعد الموت تندبيني وفى حياتى ما زودتنى زادى .

جليلة : سامحك الله .

مرة : ويلك لقد شغلتنى عن الأمر المهم . أسمعت يا جساس ما أمرتك به ؟ أعرس الليلة .

جساس : ونائلة يا أبى ؟

مرة : هذه كبرت فلن تنجب لك . ابنِ بعروس عذراء .

جساس : عذراء ؟

مرة : ذات أم ولود من بيت كريم تنجب . لا تخف . علىّ أنا مهرها .

جساس : لكن يا أبى ..

مرة : لكن ماذا ؟

جساس : العشية موعدنا عند الحارث بن عباد . مجلس العشيرة .

مرة : هيه تخشى أن يبادرك غريمك ؟ لا كنت ابنى إن أمهلته ولم تعاجله .

(يرتفع الستار الأمامى فنعود إلى بيت الحارث بن عباد من جديد حيث نرى وجوه بنى بكر وبنى تغلب مجتمعين فى الفناء ونرى بعض النسوة من الفريقين على الرواق . يتصدر الحارث بن عباد المجلس وعلى يمينه وجوه بنى بكر وعلى يساره وجوه بنى تغلب وقد وقف أمامه جساس وهجرس) .

(عند رفع الستار نسمع الحارث يقول موجها حديثه إلى الحاضرين) .

الحارث : والآن وقد رأيتم كيف أصر هذا الفتى هجرس بن كليب على أن يأخذ بثأر أبيه من خاله جساس بن مرة ، وأصر جساس بن مرة على أن يدفع الشر عن نفسه إذا هوجم ، وأشفقنا أن يؤدى ذلك إلى تجدد القتال بين حيينا المتآخين ، فقد أوجبنا على كل من جساس وهجرس أن يخلع نفسه من قبيلته فلا يكون له بها ولا لها به شأن .

(تمر فترة من الزمن والعيون تتطلع إلى جساس وهجرس فى صمت) .

الحارث : هل توافقون يا بنى تغلب على ذلك حفظا للسلام ؟

بنو تغلب : نعم نوافق على ذلك حفظا للسلام .

الحارث : وأنتم يا بنى بكر ؟

بنو بكر : ونحن كذلك لا نقبل من أحد أن يجرنا مرة أخرى إلى حرب العشيرة .

الحارث : ابدأ أنت يا جساس فأنت الأكبر سنا .

جساس : اشهدوا يا قوم أنى خلعت نفسى من بنى بكر فلا شأن لى بهم ولا شأن لهم بى .

الحارث : وإذا قتلت فلا دية لك ولا قود . قل ذلك

جساس : وإذا قتلت فلا دية لى ولا قود .

الحارث : قل أنت الآن يا هجرس .

هجرس : اشهدوا يا قوم أنى قد خلعت نفسى من بنى تغلب فلا شأن لهم بى ولا شأن لى بهم ، وإذا قتلت فلا دية لى ولا قود .

(فى خلال ذلك كنا نرى مرة يتقلقل فى مكانه محاولا أن يومئ لابنه جساس بين حين وحين ، ونرى جليلة تقلّب طرفها بين جساس وهجرس فى قلق وإشفاق ، ونرى سعدى تنظر تارة إلى أبيها وتارة إلى أسماء ، ونرى أسماء فى مقدمة الرواق تتابع المشهد فى يقظة وتزحف رويدا رويدا حتى جازت حاجز الرواق إلى الفناء خلف خالها الحارث) .

الحارث : قولوا يا قوم شهدنا والله خير الشاهدين .

الجميع : شهدنا والله خير الشاهدين .

هجرس : **(يثب من مكانه فجأة ويأخذ بقائم سيفه)** اليوم يبل صداك يا كليب .

جليلة : **(تصيح به)** هجرس . إنه خالك يا هجرس .

هجرس : وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغراريه ، لا يترك الفتى قاتل أبيه وهو ينظر إليه .

مرة : **(يرمي سيفه لجساس ويصيح)** عاجله يا جساس . ألحقه بأبيه .

جليلة : **(تصيح)** ابن أختك يا جساس . اتقتل ابن أختك ؟

مرة : لا تبال بها ، إن لم تقتله قتلك .

(يقترب أحدهما من الآخر وقد شهرا سيفيهما)

جليلة : (**تصيح**) ابن أختك يا جساس . خالك يا هجرس .

مرة : اسكتى أنت لا تشغلى أخاك .

أسماء : والله لا يستحق القتل غير هذا الشيخ فإنه شيطان .

(يتصاول جساس وهجرس)

(تدنو أسماء منهما وفى يدها السيف لتفصل بينهما)

الحارث : أسماء . ابتعدى عنهما يا أسماء .

أسماء : (**تعترض بينهما فيكفان عن القتال**) اقتلانى أولا إن أبيتما إلا أن يقتل أحدكما الآخر . لكأنى غدا بأعداء العرب قد ساقوا نساء العرب سبايا إلى بلادهم ، فمرحبا بالموت اليوم فهو أكرم لى من ذل الغد !

(يصمتان وينظر أحدهما إلى الآخر)

جليلة : لقد صدقت يا أسماء . هجرس اترك خالك من أجلى جساس اترك ابن أختك من أجلى .

أسماء : بل من أجل أمة العرب جميعا يا جليلة . إنه ليس لعربى اليوم أن يضيع حياته أو يبدد قومه إلا فى قتال أعداء العرب وطردهم من أرض العرب . هات سيفك يا هجرس .

هجرس : ماذا تصنعين به ؟

أسماء : أحفظه عندى لأسلمه إليك يوم تمضى لقتال الأحباش فى اليمن .

هجرس : وأنت معنا ؟

أسماء : وأنا معكم .

(يعطيها سيفه ، ويعيد جساس السيف إلى أبيه ثم يتقدم نحو هجرس فيعتنقان باكيين) .

(ينظر الجميع إليهما مسرورين وإذا مأمور بن معاوية ينهض قائما فتتطلع إليه العيون) .

هجرس : أعطينى سيفى يا أسماء .

أسماء : لتبارز به هذا الفتى اليمنى ؟

هجرس : نعم .

أسماء : ألا يستطيع أن ينتظر حتى تخرج الأعداء من أرض بلاده ؟

هجرس : قد وعدته يا أسماء ولن أخل بوعدى . (**يأخذ منها السيف**) هلم يا مأمور .

مأمور : أغمد سيفك يا هجرس (**يغمد سيفه**) .

هجرس : ما خطبك ؟

مأمور : لا حق لى أن أقتلك وأنت ماض لتحرير أرض اليمن .

هجرس : لا تخف فإنى أنا الذى سأقتلك .

مأمور : ولا حق لك أن تقتلنى فإنى ماض لأقاتل معك وأكون دليلك.

هجرس : أحقا يا مأمور بن معاوية ؟

مأمور : إى والله يا هجرس بن كليب .

(يعتنقان) (يطغى السرور على الجميع)

الحارث : أبشروا يا معاشر العرب فى الشرق وفى الغرب وفى الشمال وفى الجنوب . اليوم تجتمع كلمة العرب ، وغدا لن تكون أرض العرب إلا للعرب .

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) إخناتون ونفرتيتى
(٢) سلامة القس
(٣) وا إسلاماه
(٤) قصر الهودج
(٥) الفرعون الموعود
(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس
(٨) روميو وجولييت
(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر
(١١) السلسله والغفران
(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم
(١٤) أبو دلامة
(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة
(١٧) ماسأة أوديب
(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع
(٢٠) شعب الله المختار
(٢١) إمبراطورية فى المزاد
(٢٢) الدنيا فوضى
(٢٣) اوزوريس
(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران
(٢٦) إله إسرائيل
(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) التوراة الضائعة
(٢٩) جلفدان هانم
(٣٠) فى ذكرى محمد ﷺ
(٣١) من فوق سبع سموات
(٣٢) الشيماء
(٣٣) إبراهيم باشا

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق
(٢) معركة الجسر
(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك
(٥) تراب من أرض فارس
(٦) رستم
(٧) أبطال القادسية
(٨) مقاليد بيت المقدس
(٩) صلاة فى الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل
(١١) عمر وخالد
(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة
(١٤) حديث الهرمزان
(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية
(١٧) فتح الفتوح
(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس

علي أحمد باكثير : (١٩١٠ ــ ١٩٦٩)

ولد علي أحمد باكثير في مدينة « سورا بايا » بإندونيسيا ، من أبوين عربيين من حضر موت . وأرسل وهو دون العاشرة إلى حضر موت حيث نشأ وتلقى ثقافة إسلامية ، ثم غادرها ليتجول في عدن وبلاد الصومال إلى حدود الحبشة ، ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى أكثر من عام يتنقل بين مكة والمدينة والطائف .

وقد بدأ حياته الأدبية بنظم الشعر ، فنظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ونظم قصيدة « ذكرى محمد » على نظام البردة وهو في الخامسة والعشرين . وبعد الشعر اتجه إلى كتابة القصة المسرحية .

وقدم باكثير إلى مصر سنة ١٩٣٤ ، والتحق بجامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم التربية للمعلمين سنة ١٩٤٠ .

واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من سنة ١٩٤٠ حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم نقل بعدها إلى « مصلحة الفنون » وقت إنشائها ، وظل يعمل بوزارة الثقافة والإرشاد القومي .

وحصل على منحة تفرغ لمدة عامين (١٩٦١ ــ ١٩٦٣) حيث أنجز الملحمة الإسلامية الكبرى عن عمر بن الخطاب ، وهي من أروع ما كُتب حتى الآن .

مؤلفاته القصصية : سلامة القس ، واإسلاماه ، ليلة النهر ، الثائر الأحمر ، سيرة شجاع .

مؤلفاته المسرحية : إخناتون ونفرتيتي ، قصر الهودج ، أوزوريس ، الفرعون الموعود ، مسمار جحا ، دار ابن لقمان ، شيلوك الجديد ، قطط وفيران ، عودة الفردوس ، مأساة أوديب ، إله إسرائيل ، سر الحاكم بأمر الله ، سر شهر زاد ، هاروت وماروت ، السلسلة والغفران ، شعب الله المختار ، الدكتور حازم ، إمبراطورية في المزاد ، جلفدان هانم ، أبو دلامة ، الدنيا فوضى . ويعتبره النقاد المنصفون من أعظم من كتبوا المسرحية العربية ، إن لم يكن أعظمهم .

كلمة الناشر

وفاء لذكرى متعدد المواهب ، الروائى ، المسرحى ، الشاعر ، الأديب ، الفنان على أحمد باكثير ..

وحفاظا على تراثه الغزير ذى القيمة من الاندثار والضياع ..

وخدمة للمكتبة العربية التى أثراها ــ آنفا ــ بفيض من تآليفه الرائعة فى مختلف فنون الأدب : الشعر ، والرواية ، والقصة ، والمسرحية ، والمسرحية الغنائية .

رأت « **مكتبة مصر ـــ سعيد جودة السحار وشركاه** » التى كان لها شرف تقديم جل إنتاجه للقراء ابتداء من سنة ١٩٤٣ ، فأمتعت به أبناء الجيل الماضى .

أن تعيد طبع أعماله جميعا ونشرها فى ثوب جديد ، وفى قطع موحد ، حتى تتيح الفرصة لأبناء هذا الجيل والأجيال القادمة للتمتع ـــ كذلك ـــ بإنتاجه البارع الرفيع .

وتعتقد « **مكتبة مصر** » أن الأستاذ الراحل على أحمد باكثير ، برغم ما بلغه من مكانة مرموقة بين أدباء العربية ، لم ينل بعد كل ما يستحقه من التقدير الذى يؤهله لأن يكون فى القمة بين جميع الكتاب المعاصرين .

ذلك لأنه ـــ وصديقه الراحل عبد الحميد جودة السحار ـــ كانا هدفا لحملات ظالمة أحيانا ، ولإهمال متعمد أحيانا أخرى ، من بعض من كانوا يتحكمون فى النقد فى الصحف والمجلات فى تلك الأيام ، أيام غياب الحرية ، وتحكم الماركسيين فى أقدار الكتاب ؛ فقد وجهت إلى كل منهما تهمة أنه « يؤمن بالغيبيات » وأنه « غير تقدمى » ، كأنما الإيمان بالله والتمسك بالقيم الروحية يحطان من قدر الكاتب ويزريان بأدبه .

وإن هدف « **مكتبة مصر** » من إعادة نشر مؤلفاته ، وتقريبها من أيدى القراء ، هو أن تساعد على أن يوضع على أحمد باكثير فى المرتبة التى يستحقها بين كبار كتاب العربية ، وأن تعرف مؤلفاته الروائية والمسرحية طريقها إلى المكتبة العالمية .

وبالله التوفيق .

سعيد جودة السحار

رقم الإيداع ٢٩٣٠ / ١٩٩٠
I. S. B. N. 977 – 11 – 0632 – 5